"The Truce between Emperor Manuel I Komenen and Prince Nur al-Din Mahmud (554 AH / 1159 AD) in Byzantine, Crusader, Armenian, Syriac and Islamic sources"

د/هاني مهدي راتب زحير

مدرس العصور الوسطي – كلية الآداب جامعة الأسكندرية

This subject is concerned the study of the Truce that was held on the month of Jumada al-Awwal in 554 AH / June 1159 AD. between Emperor Manuel I Comnene (1143 AD - 1180 AD), and the commander Nur al-Din Mahmoud bin Imad al-Din Zangi, the Eslamic ruler in Syria, Al Jazeera Region, and some areas of Asia Minor. It presents a analytical comparative historical study of the various historical narrativs that deal with the aspects of the subject.

The Research includes several main elements, the first of which is the definition of its importance, the reasons for submitting it to study, and discussing the problem of research , and introducing the parties to the treaty as Byzantine, Islamic, Crusader, Armenian and Syriac.

The problem of that research lies in the fact that the numerous Narrations that were brought by the Sources and contained Information related to the terms and conditions of the Truce between the two sides sometimes agree in some of what was stated in them and differ at times. Which created great problems in distinguishing its stages and terms.

Undoubtedly, this creat big obstacle to Scholars and Researchers, Which prompted the Researcher interest in studying it. at last research concludes by the results, the lists of Sources and References.

Keywords

Manuel Komenin – Noureddine Mahmoud – Truce – Sources

الهدنة بين الإمبراطور مانويل الأول كومنين والأمير نور الدين محمود عام (٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م) بين المصادر البيزنطية والصليبية والأرمينية والسريانية والإسلامية

د/هاني مهدي راتب زحير

مدرس العصور الوسطي – كلية الآداب جامعة الأسكندرية

هذا الموضوع يهتم بدراسة الهدنة التي عقدت بتاريخ شهر جمادى الأولى عام ٥٥٤ هـ / يونيو ١١٥٩م بين طرفيها الإمبراطور مانويل الأول كومنين Manuel I (١١٤٣م- ١١٨٠م) ، والأمير القائد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى ممثلا عن الدولة الزنكية التى كانت تحكم فى بلاد الشام وإقليم الجزيرة وبعض مناطق من إقليم آسيا الصغرى. ويعرض دراسة تاريخية تحليلية مقارنة للروايات التاريخية المتعددة التي تتناول جوانب الموضوع .

يشمل البحث عدة عناصر رئيسية أولها التعريف بالموضوع وأهميتها وأسباب إخضاعه للدراسة والبحث ، والتطرق إلى مشكلة البحث فيه ، والتعريف بأطراف المعاهدة ، ثم يتناول الظروف التي أدت إلى عقد هذه الهدنة ، وبعدها يهتم بمناقشة مراحل الهدنة ويقارن بين شروطها اعتمادا على ما ورد عنها فى كافة المصادر المعاصرة البيزنطية والإسلامية والصليبية والأرمينية والسريانية . ويختتم البحث بذكر النتائج التي توصل إليها الباحث ، وقوائم للمصادر والمراجع التي استفاد منها .

وتكمن مشكلة البحث فى أن الروايات العديدة التي جاءت بها المصادر وورد بها معلومات تتعلق بشروط وبنود الهدنة بين الجانبين تختلف حينا فى بعض مما أوردته من معلومات تاريخية وتتفق أحيانا فى بعضا مما جاء فيها ، فقد اختلفت فى مراحلها التى سارت عليها ، وما جاء بها من بنود ، مما أوجد إشكالية كبيرة فى تمييز مراحلها وترتيبها وتفسيرها وكيفية التعامل معها . ومما لا شك فيه أن هذه الإشكالية شكلت عقبة كؤد أمام الدارسين والباحثين ، وشكل الغموض الكثير من جوانبها . وهو ما دفع الباحث للاهتمام بدراستها.

على الرغم من تعدد الدراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية إلا أنه لا توجد دراسات مستقلة عن هذه الهدنة ، وقد جاءت عرضا فى كتب المؤرخين ، ولعل السبب في ابتعادهم عن دراستها كثرة الخلط والاختلاف والتناقض فى مراحلها و بنودها الذى ورد فى نصوص مصادرها التاريخية ، مما

كان يمثل عقبة كبيرة في دراستها وبحثها . وجاء الحديث عنها عرضا فى كتاب الدكتور محمود سعيد عمران وكان عنوانه السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين 1143-1180 م [١] ، وتحدث عنها بأختصار عند تناوله حملة الإمبراطور مانويل على الشرق في ديسمبر عام 1158 – 1159 م ، ولكنه لم يفرض لها فصلا خاص لدراستها من كافة جوانبها ، ولم يأت بذكر تفاصيل مسهبة عنها ، ولم يتعرض لمراحلها ، وبعض نصوصها ، ولم يورد مناقشات مسهبة عن بنودها ، وكانت لا تزال تحتاج إلى الكثير من المناقشة والمقارنة بين رواياتها والتى تنتمى إلى مصادر تاريخية متنوعة صليبية وبيزنطية وأرمينية وسريانية وإسلامية ، وما نصت عليه من بنود تتفق حينا فيما بينها وتختلف أحيانا . على الجانب الأخر كانت أهم دراسة أجنبية عن عهد مانويل الأول كومنين دراسة المؤرخ الاجنبى بول مجداليو Paul Magdalino ، وعنوانها الإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين ، لم تأت هذه الدراسة بتفاصيل عن المعاهدة ، و أوجزها المؤرخ في صفحة واحدة فقط من مؤلفه ، ولم يتحدث عن الكثير من جوانبها وظروف أنعقادها ومراحلها ، كما لم يناقش نصوصها وبنودها في المصادر المتنوعة .[٢]

وفيما يختص بالشخصيات المشاركة الرئيسية فى هذه الهدنة فيأتي على رأسها من الجانب البيزنطى الإمبراطور مانويل الأول كومنين الذى جلس على عرش الإمبراطورية البيزنطية خلفا لأبيه يوحنا كومنين John II Comnenus (1118 – 1143م) عام 1143م[٣] . ومن الجانب الصليبي الملك بلدوين الثالث

---

(١) محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣- ١١٨٠ م ، الإسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٨٣ .

(٢) Paul Magdalino, The Empire of Manuel I Comnenos 1143 – 1180., Cambridge, 2002, p71.

(٣) ولد مانويل كومنين فى شهر نوفمبر لعام ١١١٨ م ، وهو ابنا للإمبراطور يوحنا الثاني كومنين من زوجته ايرين المجرية ، حاز قسط وافر من التعليم ودرس الآداب والفنون والقانون ، كما تدرب على الفروسية وتعرف على النظم الإدارية السائدة فى عصره ، أعتبره البعض آخر الأباطرة البيزنطيين العظام . واتبع سياسة داخلية ناجحة حيث اهتم بالتعليم والأنشطة الاقتصادية ، وعندما تولى العرش أهتم بالسياسة الخارجية مع الغرب الأوروبي والشرق الإسلامي والصليبى ، وقام باستخدام سياسات متعددة فى التحالف مع القوى العسكرية فى الشرق . اشتبك فى معارك و حروب كثيرة ضد الأرمن وخاصة أميرهم ثوروس الذى نجح فى الاستيلاء على إقليم قليقية فى عهده ، كما التحم فى عدة معارك ضد الأتراك السلاجقة ووجه ضدهم عدة حملات في إقليم الأناضول وعاصمتهم قونية ، وحاول ضم مدن إمارة الرها الصليبية بعد سقوطها وإخضاعها للنفوذ البيزنطي لكنه فشل . ولم يساند الحملة الصليبية الثانية وامتنع عن تقديم المؤن والمساعدات لها ، ولهذا السبب اتهمه الصليبيين بالخيانة.

راجع :

John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, trans. By Brand, Ch.M.,New York , 1976, p 18 ff .; Paul Magdalino, The Empire of Manuel I Comnenos 1143 – 1180, pp 41 -488.; محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٠١ - ٣٦٤. ؛ محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣، ص ٣٥٦ – ٣٧٤.؛ محمد مؤنس عوض : الإمبراطورية البيزنطية دراسة فى تاريخ الأسر الحاكمة ٣٣٠- ١٤٥٣م ، القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٢٥ -٣٤٢. ؛ عبد القادر أحمد يوسف : الإمبراطورية البيزنطية ، بيروت : دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٨٤، ص ١٤٩ – ١٥٠. ؛ جوزيف نسيم يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤-١٤٥٣م ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٥، ص ٢٣٠-٢٣٨.

Baldwin III (١١٤٤ – ١١٦٢م) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية الذى تولى العرش عام 1143م خلفا لوالده فولك دى أنجو ، وكان صغير السن لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره فتولت والدته مليسند الوصاية عليه [٤] . والأمير رينو دي شاتيون Reynald of Chatillon (١١٥٣ – ١١٨٧م) أمير إمارة أنطاكية الصليبية ، الذى ولد فى فرنسا ، وقدم إلى الشرق مع القوات الفرنسية فى الحملة الصليبية الثانية ، وكان فارسا عرف عنه ميله إلى المغامرة واستعمال الحيل والخديعة ، شارك الصليبيين فى العديد من المعارك ضد المسلمين ، تولى حكم أنطاكية عام 1153 م بعد إعلانه الزواج من الأميرة كونستانس أرملة الأمير ريموند أف بواتييه Raymond of Poitiers [٥] (1136 – 1149م) [٦]. ويمثلها من الجانب الأرميني الأمير ثوروس الثاني Thoros II (١١٤٤ – ١١٦٧م) أمير الأرمن في إقليم قليقية Celicia، ، وهو إبنا للأمير ليو الأرمينى الذى وقع فى أسر البيزنطيين فى عام 1137 م ، وفى عام 1144م تمكن من الهروب من الأسر ، وذهب إلى قومه الأرمن ونجح فى تكوين جيش قوى استطاع به السيطرة على إقليم قليقية . [٧]

أما الجانب الآخر للهدنة وهو الجانب الإسلامي فيمثله الأمير نور الدين محمود الذى تولى حكم الدولة الزنكية بعد وفاة والده عماد الدين زنكي عام 1146 م ، وكانت تمتد حدودها من مدينة الموصل بالعراق حتى مدينة حلب شمال بلاد الشام ، وأضيفت لها دمشق عام 549 هـ/ 1154م على يد نور الدين محمود ،

---

(٤) عن سيرة وأعمال بلدوين الثالث راجع :

Koncelik, L.J., Baldwin III King of Jerusalem , New York , 1974. ;

رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٩٣، ج ٢ ، ص ٣٧٦ وما بعدها .

(٥) ريموند أف بواتييه : ولد عام ١١٠٥ م ، وهو ابنا للأمير وليم التاسع William IX دوق أكوتينAquitaine ، وكانت والدته تسمى فيليبا Philippa أميرة تولوز Toulouse ، غادر أوربا إلى بلاد الشام ووصل أنطاكية فى ابريل لعام ١١٣٦ م ، وتزوج من كونستانس أبنة بوهيموند الثانى أمير أنطاكية السابق ، دون رغبة والدتها ، وأراد من الملك لويس السابع أن يسانده في استعادة المدن التي استردها نور الدين محمود من إمارة أنطاكية الصليبية ، وشارك فى الحملة الصليبية الثانية ، ثم قتل فى معركة أنب ضد نور الدين محمود عام ١١٤٨ م .

راجع : وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ،سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤، ج٣ ، ص ١٠٣ وما بعدها . ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣١٦ وما بعدها .

(6**)** Reynald of Chatillon , Prence of Antioch , Letter To Louis VII, King of France, Dated in 1155 / 1156 , in: Letters From The East, trans. By Barbar,M., and Bate, K . New York , 2010, pp 49-50.; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p 136- 137.;

رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٥٥٧ وما بعدها .

(٧) للمزيد من التفاصيل عن ثوروس الأرمينى راجع :

Smbat Sparapet , Chronical, trans. By Robert Bedrosian , Sources of the Armenian Tradition Series , New Jersey, 2005 , p 77 ff.; Gregory the Priest, Chronical , in : Matthew Of Edessa Chronical, trans.By Robert Bedrosaian , Sources of the Armenian Tradition Series, New Jersey, 2017, p 139 ff . ; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 96 – 98 , 135 - 138 .;

مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، الطبعة الثانية ، دمشق : دار نوبل ، ص ٢٢٨ – ٢٣٠. ؛ استارجيان ، ك. أ. : تاريخ الأمة الأرمينية ، الموصل : مطبعة الاتحاد الجديدة ، ١٩٥١، ص ١١٠ -١١٤.

ثم أضيف إليها مصر على يد أسد الدين شيركوه قائده الكردي . ونتج عن هذا تشكيل قوة إسلامية كبيرة و جبهة موحدة للجهاد ضد الصليبيين فى بلاد الشام . [٨]

وتتمثل الظروف التي أدت إلى توقيع هذه الهدنة في ما تعرضت له الإمارات الصليبية في بلاد الشام من ضغط إسلامى عليها بعد أن نشطت حركات الجهاد الإسلامي في الشام والعراق وبلاد آسيا الصغرى على يد الأمير عماد الدين زنكي وابنه الأمير نور الدين محمود ، ونجح الأول فى حروبه ضد الصليبيين في تطويق إمارة الرها الصليبية من الشمال حيث استولى على عدة مدن وحصون من التركمان مثل مدن الحديثة وأمد ، واستولى على بعض قلاع في إقليم ديار بكر بعضها كان تابعا للأمير جوسلين الثاني [٩] Joscelin II (1131 – 1150م) سيد إمارة الرها . ثم هاجم إمارة الرها واستولى عليها فى 23 ديسمبر 1144م / 539هـ ، وأخذ منها أموالا وذهبا وماشية كثيرة ، ثم نجح فى استعادة كثير من مدن وحصون الإمارة فى شرق نهر الفرات ، وبعدها قتل على يد أحد أفراد جيشه فى سبتمبر عام 1146 م / 541 هـ [١٠] . وبعد موته استغل جوسلين الثاني الموقف وأعاد الإستيلاء على إمارته في أكتوبر عام 1146 م ، ولكنه لم يهنأ طويلا بها حيث هاجمه نور الدين محمود ونجح فى استعادة الإمارة دفعة أخرى وضمها لأملاكه في

---

(٨) نور الدين محمود ينتمي للبيت الزنكي الذين تركز حكمهم في شمال سوريا والعراق منذ عام ١١٢٧ م ، وكانت عاصمتهم الأولى مدينة حلب ثم انتقلت إلى دمشق ، وخلف نور الدين أباه عماد الدين زنكي على كرسى الحكم فى عام ١١٤٦ م ، وفي عهده توسعت الدولة وضمت أجزاء عديدة من بلاد الشام والجزيرة وسنجار ودمشق وحلب وشيزر وبعلبك ومصر ، وتميز عهده بكثرة الاهتمام بالسياسة الداخلية لدولته فاهتم بالتعليم وزاد فى إنشاء المدارس ومكتبات تضم أمهات الكتب ، ورفع قيمة العلماء ونشر لواء الحضارة الإسلامية ، واهتم بالصحة وأسس البيمارستانات ، وأصلح القضاة وكان يستمع لشكاوى الناس وينصفهم . أما سياسته الخارجية فقد أسس جيش قوى ، كان من بين قادته بعض أفراد من البيت الأيوبي مثل أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي ، كما كان العدو اللدود للصليبيين في عصره ، واشتبك معهم في معارك كثيرة ، وتوفي عام ٥٦٩هـ / ١١٧٤م.
للمزيد من التفاصيل عن سيرة نور الدين محمود وجهاده ضد الصليبيين والأرمن وأعماله راجع :
حسين مؤنس : نور الدين محمود سيرة مؤمن صادق ، جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧. ؛ على محمد الصلابى: نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره ، القاهرة : دار الأندلس الجديدة ، ٢٠٠٨.؛ ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ٣٨٦ وما بعدها .؛ محمح محمد مرسى الشيخ : عصر الحروب الصليبية فى الشرق ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦، ص ٢٥٥ -٣٣٠ . ؛ الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧م- ١١٤٤م ، الإسكندرية : دار الثغر ، ١٩٧٤، ص ٨٢ وما بعدها.
(٩) جوسلين الثاني : كونت الرها ، ولد فى الشرق اللاتينى ، أمه أرمينية وهي أخت الأمير ليو الأرمنى ، وأبيه هو جوسلين الأول ، كان يحب اللهو والشراب ، تزوج من بياتريس أرملة وليم صاحب صهيون ، ولم يكن لديه مقدرة حربية مثل والده ، أقام فى مدينة تل باشر وتهاون فى الحفاظ على إمارته وأملاكها مما سهل السبيل أمام عماد الدين زنكي ونور الدين محمود استعادة الرها وضمها للدولة النورية .
راجع : علية عبد السميع الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١، ص ١٣٢ وما بعدها .
(١٠) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، الجزء ٣ ، ص ٢٣٦ وما بعدها . ؛ علية عبد السميع الجنزوري **:** إمارة الرها الصليبية ، ص ٣٠٧ - ٢١٠ . ؛ محمد محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، ص ٣٦٦ ، ٣٧٠ – ٣٧٢. ؛ عصر الحروب الصليبية فى الشرق ، ص ٢٥٢- ٢٥٤ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، الطبعة الرابعة ، ٢ جزء ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦، ج ١ ، ص ٤٧٢-٤٧٤.

أوائل شهر نوفمبر 1146 م / 541 هـ . ولم يعد في يد أميرها جوسلين الثاني سوى عدة مدن هى تل باشر التى يقيم بها وإعزاز وعين تاب ودلوك وسميساط والراوندان ومرعش . [١١]

وكان لسقوط إمارة الرها فى يد الزنكيين أثر كبير في دفع الغرب الأوروبي للقيام بالحملة الصليبية الثانية التي إشترك فيها لويس السابع Louis VII [١٢] (1137 – 1180م) ملك فرنسا و الإمبراطور كونراد الثالث Conrad III [١٣] (1138 – 1152م) إمبراطور ألمانيا ، وعند وصولهم القسطنطينية فى شهر سبتمبر 1147م أراد مانويل أن يقسموا أمامه يمين الطاعة والولاء ويعيدوا له كل الأراضي التي يستولوا عليها وكانت من أملاك بيزنطة فى السابق ، هذا إلى جانب أنهم تعرضوا لسوء معاملة من البيزنطيين أثناء خروجهم من القسطنطينية باتجاه الشرق الصليبى حيث لم يقدموا لهم احتياجاتهم من المؤن والماء ، وأمدوهم بأدلاء مضلون سلكوا بهم فى طرق غير مألوفة ووعرة ، ولم يمدوهم بالسفن الكافية لنقل جنودهم إلى الساحل الشامى ، كما تعرضوا لهجوم السلاجقة فى آسيا الصغرى مما أفقدهم كثير من جنودهم و حماستهم [١٤] . وتطلع ريموند أف بواتييه أمير أنطاكية أن تسانده هذه الحملة فى استعادة الاستيلاء على

---

(١١) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٥٩ وما بعدها . ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٥٦٢ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، ج١ ، ٤٧٤. علية عبد السميع الجنزوري : أمارة الرها الصليبية ، ص ٣١٤ ، ٣١٩ وما بعدها .

(١٢) لويس السابع : ولد عام ١١٢٠م ، أبن لويس السادس وخليفته على عرش فرنسا ، حصل على تعليم دينى فى طفولته وشبابه المبكر حتى شابه الرهبان الزهاد في معيشتهم ، تولى الحكم عام ١١٣٧ م ، تزوج من الأميرة إليانور أف أكواتين ، التي صارت زوجة له حتى عام ١١٥٢ م ، اشتبك فى صراع ضد البابوية فى عهد البابا إنوسنت الثاني ، فقام البابا بتوقيع قرار الحرمان عليه ، اشترك فى الحملة الصليبية الثانية عام ١١٤٧ م ، وتوفي عام ١١٨٠ م.

Otto of Freising , The Deeds of Frederick Barbarossa, trans. , Annot. With Introd. By Charles Christopher Mierow, New York , 1966, pp 23 ff .; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p 68 – 72.;

محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٦٦، ص ٢١٩ – ٢٢٢.

(١٣) كونراد الثالث : ولد عام ١٠٩٣ م ، وهو ابن فردريك الأول دوق سوابيا وأجنيس ابنة هنري الرابع ، صار دوق على مقاطعة فرانكونيا وبورجنديا عام ١١١٥م ، اشترك مع أخيه فردريك الثاني في حكم ألمانيا حتى موت الإمبراطور هنري الخامس فى عام ١١٢٥م ، ورشح للإمبراطورية لكنه لم يحصل عليها وهرب إلى إيطاليا حيث توج ملكا عليها لمدة عامين حتى ١١٣٠ م ، ثم عاد إلى ألمانيا وتوج عليها عام ١١٣٨م ، واشترك فى الحروب الصليبية حيث قام بالحملة الصليبية الثانية عام ١١٤٧ م فى بلاد الشام ، وعاد إلى بلاده عام ١١٤٨م ، ومات عام ١١٥٣ م .

John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p 59 ff .; William Stubbs, Germany in The Early Middle Ages 476 - 1250 , London, 1908, pp 188 – 192.

(14) Anonymous, The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle , trans. By Tritton , A. S. , not. by Gibb , H. A. R., Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No. 2, pp 273 -305, Cambridge, (April, 1933), pp 297 – 298.; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p 58 ff . ;

ابن القلانسي) ٥٥٠ هـ /١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد : تاريخ ابو يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق تتلوه نخب من تاريخ ابن الأزرق الفارقى وسبط بن الجوزي والحافظ الذهبي ، القاهرة : مكتبة المتنبى ، ١٩٩٧ ، ص ٢٩٧- ٢٩٩ .؛ ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤ م) عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني الشهير بابن الأثير: الكامل في التاريخ ، المعتنى به أبو صهيب الكرمي ، ١٢ جزء في مجلد واحد ، الأردن : بيت الأفكار الدولية ، د.ت. ، ص ١٦٨١ - ١٦٨٢.

المدن والقلاع التي فقدها فى شرق نهر العاصى ، وبالمثل تطلع جوسلين إليهم حتى يعيدوا له أملاكه التى استعادها نور الدين محمود فى إمارة الرها [١٥] . لكن قادة الحملة عقدوا مجلس صليبى كبير فى مدينة عكا في يونيو 1148 م ، واتفقوا على مهاجمة مدينة دمشق وإسقاطها فى يد الصليبيين ، وكانت المدينة قوية التحصينات مرتفعة الأسوار ويقيم على حكمها معين الدين أنر الذى أظهر شجاعة منقطعة النظير فى الدفاع عنها [١٦] . ودبت الخلافات فى صفوف الصليبيين حول أحقية تملك المدينة بعد سقوطها في أيديهم ، وطمع الملك الصليبي بلدوين فى تملكها ، حتى أنه قدم وعد لبعض الرجال من حاميتها ببذل مائة ألف دينار ، وقلت المؤن في معسكرهم واشتدت الحرارة عليهم ، وأخذ معين الدين أنر يفاوضهم على تسليمهم حصن بانياس مقابل رفع حصارهم عن مدينته ، وبالفعل تم الاتفاق على ذلك ، ورفع الصليبيون الحصار عن المدينة ، وفشلت الحملة فى تحقيق أهدافها . [١٧]

ثم اشتبك نور الدين محمود مع الصليبيين فى معارك حامية كان أهمها معركة قلعة أنب الصليبية وفي أوائل شهر صفر 544 هـ / منتصف يونيو 1149 م قام و يصحبه مجاهد الدين بزان [١٨] الأمير الكردي وقوتهما بمهاجمة أملاك الصليبيين في سهل نهر العاصي بالقرب من مدينة حلب ، وحاصرا قلعة أنب[١٩]

---

(١٥) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩ . ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، ج١ ، ٤٩٠.

(١٦) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣١٥ ؛ أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن رشد الكناني الشيزري: كتاب الاعتبار ، تقديم وتعليق عبد الكريم الأشتر ، الطبعة الثانية ، بيروت : المكتب الإسلامى ، ٢٠٠٣، ص ٥٥ – ٥٦. ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، ج١ ، ٤٩٠.

(17)Anonymous,The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle, pp 299.;

وراجع : وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٠٧ – ٣٢٠ . ؛ ابن القلانسي : زيل تاريخ دمشق ، ص ٢٩٧-٢٩٩ .؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٤٥١ - ٤٥٨ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، ج١ ، ٤٩٢ – ٤٩٥ .

(١٨) مجاهد الدين بزان : هو أمير كردي ، خدم في جيش نور الدين محمود ، وتولى قيادة الجيش ، وعينه نور الدين حاكما على مدينة صرخد لفترة من الوقت ، ومن صفاته الشجاعة والإقدام في الحروب ، وكان واسع الكرم وكثير الصدقات ، وعرف عنه طيب الخلق والتسامح ، اهتم ببناء المساجد والمدارس ومنها المدرسة المجاهدية التى سميت باسمه ، وكان يمتلك كثير من مصادر الثروة مثل الأموال والمزارع والأراضى الزراعية ، توفى عام ٥٥٥ هـ .

راجع : كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (المتوفى: ٧٢٣ هـ): مجمع الآداب فى معجم الألقاب ، تحقيق محمد الكاظم، ٦ أجزاء، إيران : مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٦ هـ ، الجزء ٤ ، ص ٣٦١ .؛ ابن كثير القرشى (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، مجلد واحد ، اعتنى به حسان عبد المنان ، لبنان : دار الأفكار الدولية ، ٢٠٠٤، ص ١٩٠٣.؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ٥٢١- ٦٣٠هـ / ١١٢٧ -١٢٣٣م ، بيروت : دار النفائس ، ١٩٩٨ ، ص ٢٦٠ – ٢٦١.

(١٩) قلعة أنب : هى حصن من أعمال مدينة عزاز وتسمى إعزاز ، وهي من نواحى حلب عاصمة الزنكيين في عصر عماد الدين زنكي ، تقع فى الجزء الأوسط من سهل نهر العاصى الواقع شمال سوريا ، وعلى الضفة الشرقية للنهر بالقرب من مدينة معرة النعمان ، وكانت تتبع أمارة أنطاكية الصليبية فى عصر أميرها الصليبى ريموند الثاني .

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين : معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧، جزء ١ ، ص ٢٥٨.

التابعة لمدينة إعزاز ، وقتل عدد لا بأس به من القادة الصليبيين ومن أهمهم ريموند نفسه ورينو [٢٠] حاكم مدينة مرعش ، وهرب الباقون حفاظا على حياتهم .[٢١]

وقام السلطان مسعود (1116 – 1156م) بالهجوم على مرعش والاستيلاء عليها عام 544 هـ/ 1149م [٢٢]، وكيسوم وبهسنى ورعبان عام 545هـ / 1150م [٢٣]، واستولى قلج أرسلان على كركر وحصن منصور بشمال الرها عام545هـ / 1150م [٢٤]، ثم ما لبث أن وقع جوسلين فى الأسر وتسلمه نور الدين وسجنه في حلب [٢٥]. وأراد نور الدين محمود استثمار الانتصارات التى تحققت فى الرها فى غزو إمارة أنطاكية وتحقيق انتصارات مماثلة ، فقام بالاستيلاء على حارم و أفامية وذلك فى شهر يوليو لعام 544 هـ/ 1149 م [٢٦] ، كما استولى على عزاز فى 545 هـ / 1150م ، وكانت إحدى أقوى المدن

---

(٢٠) رينو حاكم مدينة مرعش: أحد قادة الصليبيين فى بلاد الشام ، تولى حكم مدينة مرعش ، وتزوج من الأميرة أجنس ابنة جوسلين الثاني حاكم إمارة الرها من زوجته بياتريس ، وكان يتصف بالقوة والشجاعة والإقدام ، وشارك فى العديد من المواقع الحربية ضد المسلمين كان آخرها مشاركته فى معركة أنب الذى أنتهت بهزيمة القوات الصليبية وأدت إلى مقتله . أما مدينة مرعش فتقع شمال سوريا داخل إقليم قليقية ، وكانت خاضعة لسلطة البيزنطيين الذين جعلوا حكمها بيد أحد القادة الأرمن ، واستولى عليها الصليبيين في عام ١١٠٣م حيث وقعت تحت سلطة جوسلين الأول ، ثم انتقلت تبعيتها إلى بوهيموند الأنطاكى وفقا لما نصت عليه معاهدة ديفول فى عام ١١٠٨ م ، وبعدها صارت تابعة لإمارة الرها .

راجع : وليم الصوري :الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٩٥ ، ٣٢٣.؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤ وما بعدها .

(21**)**Anonymous,The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle, pp 300 -301 . ; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p 97.; Smbat Sparapet, Chronical, p 77. ; Michel Le Syrien , Chronique, trans. by Chabot, J.B., 3 Tom., Paris , 1905, tom. III, p 289 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٣٢٢ -٣٢٣. ؛ ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٤- ٣٠٥ .؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٦٨٥. ؛ ابن العديم ابن العديم (٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم الحلبي الحنفي : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، وضع حواشيه خليل المنصور ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦، ص ٣٣٢- ٣٣٣.

وتذكر المصادر أن زعيم طائفة الحشاشية حذر الأمير ريموند من تهوره المفرط وقلة جنوده ، لكنه لم يستجيب له فوقع فى يد قوات نور الدين وخر صريعا بين القتلى الصليبيين . ويلاحظ أن وليم الصورى وسمباد يجعلا تاريخ معركة أنب التى قتل فيها ريموند بتاريخ عام ١١٤٨ م وليس ١١٤٩.

راجع : وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٣٢٤ . .

John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p 97.

(22**)**Gregory the Priest, Chronical ,137 .; Smbat Sparapet , Chronical, p 75.

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٦٨٨. ؛ ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ص ٣٣٦ .

(23**)**Gregory the Priest, Chronical ,138 .; Smbat Sparapet , Chronical, p 76 . ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 290.

ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ص ١٦٨٨. ؛ ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ص ٣٣٦.

(24**)**Smbat Sparapet , Chronical, p 75. ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 290-291.

(25**)**Gregory the Priest, Chronical ,138 .; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 163. ; Smbat Sparapet , Chronical, p 75.; Anonymous,The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle, pp 301.;

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٢٧. ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣١٠ . ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٦٨٨.

(26**)** Anonymous,The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle, pp

المحصنة فى شمال شرق مدينة أنطاكية ذاتها [٢٧] ، واستولى على تل باشر عام 546 هـ/ 1151م [٢٨] ، وعلى دلوك عام 547 هـ / 1152م [٢٩] . وبذلك يكون استولى على كل ممتلكات إمارة أنطاكية شرقى نهر العاصي [٣٠] ، وامتد حكمه حتى نهر الفرات [٣١] . هكذا فقد الصليبيين كل إمارة الرها ومدنها وقلاعها ، وبعض من المدن والحصون القوية التابعة لإمارة أنطاكية .

وبعد فشل الحملة الصليبية الثانية فى الإستيلاء على دمشق أو تحقيق أية نجاحات كبيرة للصليبيين في الشرق ، ضعفت الروح الصليبية فى الغرب الأوربى ، وقضى وقتا طويلا دون أن يخرج من أراضيه جيشا لنجدة الصليبيين ، وبعد كل هذه المعارك التى هزم فيها الصليبيون على يد المجاهد المسلم نور الدين محمود أدت إلى إصابة الجانب الصليبي باليأس ، وجعلته يخسر أعداد كثيرة من جنوده الفرسان والمشاة قتلى في ميادين المعارك وأسرى في سجون الدولة النورية فى حلب ودمشق وغيرها من المدن ، كما خسر الصليبيين أموالا كثيرة ، وقلت تجارتهم وضعفت جدا ، وهذا ما دعاهم البحث عن خليف جديد و مساند قوي فى الشرق . فوجدوا ضالتهم هذه المرة في الأراضي البيزنطية وفي القصر البيزنطى ذاته ، وبدا أن أعداء الأمس البيزنطيون سوف يصبحون أصدقاء اليوم .

وحدث أن بلدوين الثالث توجه إلى الإمبراطور البيزنطى مانويل وعزم على التحالف معه للحصول على مساندته العسكرية والمالية ، فالإمبراطورية البيزنطية لا تزال القوة الأكبر فى الشرق فى هذا الوقت وتمتلك من الجنود والجيوش ما يجعلها تحتل هذه المكانة ، كذلك فهى تمتلك مصادر إقتصادية متنوعة ، مما يجعلها من أغنى الاقتصاديات فى العالم فى هذا الوقت ، وأراد الملك الصليبى التقرب من الإمبراطور البيزنطي للحصول على مساندته ومساعدته العسكرية والمالية حتى يستطيع الصليبيون النهوض من كبوتهم مرة أخرى . وجرت الأحداث بما يدل على شدة ذكاء الملك الصليبى ، فراح يخطب ود الإمبراطور ، وعرض عليه مشروع الزواج من إحدى الأميرات البيزنطية ، ليتم مصاهرة سياسية بين الجانبين الصليبي والبيزنطي ، وتمثل هذا في مشروع زواج الملك بلدوين الثالث بالأميرة ثيودورا Theodora إبنة أخى

300-301 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٢٥ . ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٥ .

(٢٧) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص. ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣١٠ . ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ص ١٦٨٨، ١٦٩١. ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ص ١٨٩٦ .

(28)Gregory the Priest, Chronical ,138 .; Smbat Sparapet , Chronical, p 77 .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٦٨٨. ؛ ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ص ٣٣٦.

(٢٩) علية عبد السميع الجنزوري ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٣٣٥.

(٣٠) سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٩٩.

(31)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 163.

الإمبراطور ، حيث استقبل مانويل السفارة الخاصة بهذا المشروع فى سبتمبر أو أكتوبر لعام 1157م وكان على رأسها أثارد Attard رئيس أساقفة مدينة الناصرة وهمفري صاحب تورون والنائب الملكى ، وجوسلين بسيللوس و وليم أوف باريس William of Paris ، واتفق الجميع على ترتيبات الزواج ، وفى سبتمبر من عام 1158 م زفت العروس إلى الملك فى كنيسة بيت المقدس وقام البطريرك إيمرى بإتمام مراسم الزواج [٣٢]. ونتج عن هذه المصاهرة أن وعد الإمبراطور مانويل بالوقوف جانب الصليبيين ومساعدتهم بالمال الوفير وتشديد قواهم [٣٣] . كما أن هذا التقارب البيزنطي الصليبى فى هذا الوقت ضمن للمملكة الصليبية مورد مالى واقتصادى كبير ومساندة عسكرية أكبر من الإمبراطورية البيزنطية القوى الكبرى على الساحة العالمية فى هذا الوقت . [٣٤]

وكانت فرصة للإمبراطور البيزنطى فى بسط نفوذه وسلطاته على إمارة أنطاكية ، وقام بتوجيه خطاب للملك بلدوين صرح له فيه أنها مدينة بيزنطية وتدين بالسيادة لبيزنطة [٣٥]. ولإنزال العقاب على رينو حاكم أنطاكية الذي هاجم الممتلكات البيزنطية فى جزيرة قبرص وحليفه ثوروس الذى شاركه هذا الجرم ، حيث أن الجزيرة من أعظم الجزر فى البحر المتوسط [٣٦]، وتمتلك كثير من الثروات الإقتصادية الزراعية والتجارية ومصادر التمويل [٣٧]، وهو ما جذب أطماع رينو للاستيلاء عليها ونهبها عام 1156 م

---

(٣٢) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٢٦- ٤٢٨.؛
Gregory the Priest, Chronical ,146 .; Smbat Sparapet , Chronical, p 80.

(٣٣) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤١٥.؛
Gregory the Priest, Chronical ,146 .; Smbat Sparapet , Chronical, p 80.

(٣٤)محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٢٣ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٥٢٣.

(35) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 140 , 179 .

(٣٦) أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف ابن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م) : المسالك والممالك ، بيروت : دار صادر ، ١٨٨٩ ، ص ٢٣١ .

(٣٧) تتميز جزيرة قبرص باتساع أراضيها الزراعية وخصوبتها ، وكانت تنتج الحبوب والخضر والفاكهة والقطن وقصب السكر والعنب ، و يستخرج منها الملح وعسل النحل وزيت الزيتون والأخشاب والميعة والمصطكي والملابس والآلات والأعشاب الطبية والبخور والبلسم ؛ إلى جانب ارتباطها بنشاط تجارى بحري كبير مع الإمارات الصليبية في بلاد الشام وما جاورها من جزر البحر المتوسط مثل كريت وصقلية وردوس والساحل السوري والشمال الأفريقي.
راجع : أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي المعروف المقدسي البشاري (٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م) : أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٩٣١ ، ص ، ١٨٤. ؛ أبى إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف الكرخي(ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) : مسالك الممالك ، ليدن ، ١٩٣٧ ، ص ٧٠ – ٧١. ؛ دانيال الروسى : رحلة حج الراهب دانيال الروسى : ترجمة وتعليق سهيل زكار ، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣١ ، دمشق ، ١٩٩٨، ص ٢٧٥ – ٢٧٦.

(٣٨). ومنه أيضا العمل على تقوية النفوذ البيزنطي إلى الإمارات الصليبية في بلاد الشام وبالأكثر في قلبها وهي مملكة بيت المقدس ، وبطريقة سلمية وليس بالتهديد أو قوة السلاح.

وفى الوقت ذاته عمل الإمبراطور على تجهيز حملة كبيرة تكون وجهتها الشرق إستجابة إلى دعوات الملك بلدوين له لنجدة الكيان الصليبي ، وصد هجمات نور الدين عن الإمارات الصليبية ، والقيام بعمل عسكرى ضد المسلمين ، وتأديب الأرمن بقليقية وإستردادها منهم باعتبارها أراضى بيزنطية . فقام بإرسال السفراء إلى الأمراء السلاجقة فى آسيا الصغرى ونجح في عقد الهدنة مع قلج أرسلان وياغي أرسلان فى منتصف عام 1158 م (٣٩) . كما استطاع أن ينهى حروبه الخارجية فى أوروبا ، وفى إيطاليا بأن وافق على عقد هدنة مع الملك النورماني وليم الأول William I (1154 – 1166م) ملك صقلية في عام 1158 م (٤٠).

وكان قد أخفى أخبار مهادنته للسلاجقة حتى لا يعرف أعدائه من الأرمن و الأنطاكيين والمسلمين بترتيباته ضدهم (٤١)، وأذاع أنه خارج على رأس جيشه لمحاربتهم (٤٢)، وفي سبتمبر من عام 1158 م خرج بجيشه ، فنراه يشق طريقه من القسطنطينية ويدخل أراضي آسيا الصغرى ويعبر بلاد السلاجقة في خطى سريعة ، حتى بلغ إقليم قليقية في أواخر الشهر ذاته ، وكان ثوروس قد علم بمسير الجيش قبل وصوله إليه فقام بجمع أفراد عائلته زوجته وأبنائه وأمواله وثرواته وهرب عبر الجبال المتشعبة وأخذ يتنقل بين مرتفعاتها وكهوفها و سفوحها ووديانها ، وعندما بلغ الإمبراطور قليقية لم يجده (٤٣)، فكانت فرصة مانويل سهلة فى الاستيلاء على المدن الهامة بالإقليم مثل المصيصة وطرسوس مقر إقامة ثوروس وتل حمدون وعين زربة وبعض القلاع القوية ، وأقام معسكره فى المصيصة فى أوائل نوفمبر عام 1158 م (٤٤). وظل

(38)Gregory the Priest, Chronical ,146 . ; Smbat Sparapet , Chronical, p 79-80.; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 315.;

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢.

(39)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 132.

(40) راجع : John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 132-133 , 136.

(٤١) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٢٩.؛ محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٢٨ .

(42)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 137.

(43)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 137. ; Gregory the Priest, Chronical ,146 .; Smbat Sparapet , Chronical, p 80. ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 316. ;

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٢٩.

(44)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 137- 138. ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 316. ; Gregory the Priest, Chronical ,146 .; Smbat Sparapet , Chronical, p 80.

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٢٨ - ٤٢٩.

مانويل وجيشه فى المصيصة منذ نوفمبر 1158 م ، وعزم على قضاء فصل الشتاء بها [٤٥]، وهى فترة كافية للإمبراطور في وضع خططه العسكرية المقبلة ، وسبل تنفيذها ، وكيفية إخضاع الثائرين رينو وثوروس ، وكيفية التعامل مع المسلمين .

وما لبث الإمبراطور البيزنطى أن إستقبل رينو سيد أنطاكية ، وبرفقته وفد رفيع من رجال إمارته الصليبية أهمهم أسقف اللاذقية ويسمى جيرار [٤٦] Gerard ، و أساقفة ورهبان وأمراء ، وأظهر رينو مقدار توبته وندمه على سطوه على جزيرة قبرص ، وهو ما دفع الإمبراطور العفو عنه [٤٧] . وضمن الإمبراطور الحصول على مدد إضافى من القوات العسكرية الصليبية التي قدمها رينو للإمبراطور ، وربحه حليفا له في حروبه [٤٨] . وبهذا يكون قد حقق السيادة السياسية البيزنطية الفعلية على أنطاكية بعد صراعها الطويل مع أمراءها الصليبيين .

وكان الملك بلدوين قد إنتقل إلى أنطاكية عندما علم بإقامة الإمبراطور فى المصيصة ، وأرسل سفارة إليه طالبا السماح له بمقابلته فسمح له ، وكان على رأس هذه السفارة جودفرى Godfrey رئيس الفرسان الداوية لمعرفته باللغة اليونانية وجوسلين بيسلوس [٤٩]. بعدها بلغ الملك المعسكر الإمبراطورى ، تناقش مع الإمبراطور فى مسألة أنطاكية إذ كان يريد بسط نفوذه عليها [٥٠] . وهناك مصدر أرمينى تناول رواية تاريخية تكشف عن الهدف الأساسى لهذه الزيارة الملكية وهو وضع المقترحات والخطط في مواجهة قوات نور الدين محمود . وأفاد المصدر بأن أحد الأمراء الصليبيين ويسمى فيليب نظر إلى سخاء الإمبراطور المفرط فى تقديم الأموال والهدايا الذهبية والفضية والملابس الفاخرة على الملك بلدوين والأمراء وكبار رجال المملكة أعاد رسول الإمبراطور برسالة شديدة اللهجة يقول له فيها " ذكر امبراطورك أننا لم نتصل به ونأتي إليه طمعا فى الحصول على الثروات والملابس الفاخرة ، لكن فقط من أجل خلاص المسيحيين ، وإن كان هذا الأمر يلق الأهتمام منك ، نحن سوف نقدم لك أموالنا وذهبنا وكل قواتنا العسكرية ، ونخضع

---

(45)Gregory the Priest, Chronical ,146 .; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 316. ; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 137. ; Smbat Sparapet , Chronical, p 80.; وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٢٨.

(٤٦) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٠.

(٤٧)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 139 . ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 316. ;

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٤٨)Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 141-142.

(٤٩)وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣١.؛

Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 140.

(50)Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 140.

كل ما لدينا فى خدمتك ، وعندما تندلع المعارك لسوف ترى بعينك جنودا شجعانا لا يهابون الموت ، وعندها ستعرف أنه يجب عليك أن توزع أموالك وذهبك على شعبك فهم يحتاجون هذا . ولكن إن لم تفعل ما نلتمسه منك وما قد وعدتنا به وهو حماية المسيحيين ، لم نقبل منك أى أموال ." [٥١]. وجاء عند المؤرخ جريجوار القس الأرميني Gregoire Le Pretre أن الإمبراطور والملك الصليبى والأمراء الصليبيين الأخرين وضعوا خطتهم لمهاجمة مدينتي حلب ودمشق وتحرير الأسرى الصليبيين فى سجون نور الدين وذلك قبل خروجهم من المصيصة . [٥٢]

كما أوردت مصادر إسلامية أمر هذه الزيارة باختصار وأشار إلى التحالف بين الملك الصليبى ومانويل ومشاركة القوات الصليبية التابعة لمملكة بيت المقدس فى الحملة البيزنطية التي يقودها مانويل بغرض محاربة المسلمين والاستيلاء على الأعمال الإسلامية والإفساد فيها ، مما دعا المؤرخين أصحاب هذه المصادر توجيه الدعوة إلى الله بخذلانهم وإنكسارهم [٥٣] . ويتضح من هذا أن نور الدين امتلك عيون مهمتها مراقبة الأوضاع داخل معسكر الإمبراطور مانويل والتغيرات والتطورات التى تحدث به وتحركاته من مكان إلى أخر، أى جمع معلومات مهمة عن هذا الجيش .

وبينما يقيم الجيش البيزنطى فى المصيصة قدم إليه الأمير ثوروس الأرميني وإلتمس عفوه ، ومع توسط الملك بلدوين أمام صهره قدم مانويل عفوه عن ثوروس وتقبل منه يمين الطاعة والولاء ، وأقره على جميع الأراضى التى فى يده . وحصل منه على قوات أرمينية وعدد كبير من الخيول ، انضمت إلى جيشه ، كما وصله الأمير الأرميني بإمدادات كثيرة من المؤن والزاد والتى تتمثل فى عدد كبير من قطعان الماشية والأغنام ، وكانت هذه المؤن خير زاد للجيش البيزنطى فى هذا الوقت . [٥٤]

---

(51) Smbat Sparapet , Chronical, p 81.
انفرد وليم الصورى بمقدار الهدايا التى منحها الإمبراطور للملك بلدوين الثالث وحده وهى اثنين وعشرين ألف قطعة ذهبية وثلاثة ألاف مارك من الفضة ، هذا بالإضافة إلى قطع كثيرة من الثياب الحريرية والأواني القيمة .
راجع : وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٣.

(52)Gregory the Priest, Chronical , 147 .

(٥٣)ابن القلانسى : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧. ؛ ابو شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، حققه وعلق عليه ابراهيم الزيبق ، أربعة أجزاء وجزء خامس للفهارس ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧ ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .
أشار المؤرخ الأرمينى سمباد إلى هذه الإجراءات حيث أفاد أن نور الدين أخذ يرسل فى طلب النجدة من القوى الإسلامية واستطاع تجييش أعداد كثيرة من المحاربين . ووضع قوات عسكرية كافية في المدن الإسلامية التي تخضع لسلطته . كما أشار المؤرخ المسلم ابن القلانسي إلى قيام نور الدين بطلب الإمدادات العسكرية من أمراء وملوك الدولة النورية والسلاجقة .
راجع : Smbat Sparapet , Chronical, p82.
ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧.

(54)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 137. ; Gregory the Priest,

ويتضح من هذا أنه فى معسكر الجيش البيزنطي بالمصيصة تم التحالف بين مانويل البيزنطي و الملك بلدوين الصليبى والأمير رينو دي شاتيون والأمير ثوروس الأرميني على مهاجمة نور الدين والاستيلاء على مدنه ولاسيما دمشق وحلب ، ووضعت خطة الحرب على هذا النحو . والدليل على هذا قيام الإمبراطور بتوثيق هذا التحالف بمنح الهدايا للملك الصليبى والأمراء ، حيث أن تبادل الهدايا دليل على عقد التحالفات ، وكانت هذه عادة بيزنطية معروفة عندهم .

وحملت المصادر العربية أخبار عن ثمة اتصال جرى بين الإمبراطور ونور الدين ، قبل أن يغادر الإمبراطور المصيصة إلى أنطاكية ، حيث جاء فى أحد هذه المصادر أنه بعد انتهاء النصف من صفر للعام 554 هـ / منتصف مارس 1154م أرسل مانويل رسول من معسكره محملا بهدايا من أثواب الديباج وهداية أخرى وبعض البغال الجميلة ورسالة تحمل تقدير الإمبراطور للقائد نور الدين ، وقد تقبل نور الدين هدايا الإمبراطور وأرسل له مثلها ، وعاد رسول الإمبراطور إليه فى أواخر الشهر ذاته . (٥٥)

يرى الباحث إنما هى بداية للإتصالات بين الإمبراطور ونور الدين وربما قصد الإمبراطور منها التعرف على قوة غريمه المسلم ، ويبحث عن سبيل للتعامل معه . ويدل هذا على ذكاء منه ، لأنه أراد أن يعرف مدى قوة نور الدين حتى يعد عدته ويضع خططه قبل الدخول في الحرب ضده. كما يتضح منه أن الإمبراطور البيزنطى أراد خداع نور الدين بهذه الطريقة حتى يظن الأخير أن الإمبراطور يطلب الصلح والهدنة ويتخلى عن الحرب ضده ، ثم يقوم بمباغتته بالحرب دون أن يدرك . وكان فى مخيلة مانويل إن فشل فى الحرب عليه فعلى الأقل تفيده الاتصالات بينهما في عقد الهدنة . وعلى جانب آخر يدل هذا على مواصلة تتبع عيون نور الدين لجيش مانويل ، ومعرفة ما يحدث به هناك ومعرفة تحركاته ، وقد نقلت عيونه له الأخبار عن قصد مانويل التحرك إلى أنطاكية قبل خروج الجيش من المصيصة .

نستنتج مما سبق أن الإمبراطور البيزنطى إنما خرج من عاصمته القسطنطينية إلى الشرق على رأس حملة عسكرية كبيرة كانت مهامها محاربة الأمير الأرميني ثوروس واستعادة إقليم قليقية منه ، وتأديب رينو

Chronical ,146- 147 . ; Smbat Sparapet , Chronical, p 80- 81. ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 316. ;

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٢ -٤٣٣.

(٥٥) ابن القلانسي : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٦. ؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ص ٣٨٤.

أشار المؤرخ الأرمينى سمباد إلى هذه الإجراءات حيث أفاد أن نور الدين أخذ يرسل فى طلب النجدة من القوى الإسلامية واستطاع تجييش أعداد كثيرة من المحاربين . ووضع قوات عسكرية كافية في المدن الإسلامية التي تخضع لسلطته . كما أشار المؤرخ المسلم ابن القلانسي إلى قيام نور الدين بطلب الإمدادات العسكرية من أمراء وملوك الدولة النورية والسلاجقة .

راجع : Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧.

دي شاتيون بسبب جرائمه فى قبرص ومحاربة القوات الإسلامية التي أقلقت الصليبيين كثيرا و زعزعة استقرارهم فى بلاد الشام ، وقد مهد الطريق أمامه فى آسيا الصغرى بمهادنة الأمراء السلاجقة ، وتقدم فى سرعة وسرية تامة إلى قليقية ونجح فى الإستيلاء عليها بسهولة وضمن ولاء الأمير الأرميني له بل وحصل منه على إمدادات عسكرية لها قيمة كبيرة وكثير من المؤن التي سدد بها احتياجات جيشه للطعام والشراب . كما نجح فى تأديب الأمير الصليبي رينو دي شاتيون وضمن ولائه له ، وحصل منه على المزيد من القوات العسكرية الصليبية التى ضمها إلى جيشه ، والكثير من الإمدادات الغذائية والأموال ، كما استقبل الملك بلدوين وتباحث معه في المسألة الرئيسية للحملة وهى استكمال وضع الترتيبات فى موضوع محاربة نور الدين ، وأرسل رسول إلى نور الدين ليستكشف قوته ومدى جاهزيته للحرب ، حتى يستطيع إقرار أى الطرق يسلكها معه وما يجدى منها الحرب أم الهدنة .

وقضى الإمبراطور شهور الشتاء فى المصيصة ، واحتفل بعيد القيامة هناك في الرابع والعشرين من شهر أبريل لعام 1159 م ثم عزم السفر إلى أنطاكية [٥٦] ، ويذكر أن الإمبراطور اجتمع مع ممثلى إمارة أنطاكية والملك الصليبى ووفد من كبار الصليبيين وتشاور معهم في أمر زيارته للمدينة وكيفية تأمينه ، وقاموا بوضع الترتيبات المناسبة ، وبعدها خرج مانويل من قليقية ووصل أنطاكية بجيشه ، ووصل المدينة في أواخر أبريل من العام ذاته [٥٧] . وقام الإمبراطور بزيارة كاتدرائية القديس بطرس بالمدينة ثم أقام في قصر الإمارة ، وهناك أقيمت الاحتفالات لمدة ثمانية أيام متواصلة ، وضمت عروض الحيوانات ومسابقات رياضية مثل الفروسية والمبارزة ، وقد شارك الإمبراطورة فيها ، وبعدها قام برحلة صيد في غابات إمارة أنطاكية و أحراشها [٥٨] . ونستنتج من زيارة الإمبراطور البيزنطي لكاتدرائية أنطاكية أنه كان عازما على حرب نور الدين أو على الأقل أن قرار الحرب ضده كان أحد الاختيارات التى فى جعبته . وهذه عادة الأباطرة البيزنطيين حين يقدمون على الحروب يقومون بزيارة الكنائس قبلها للصلاة والتشفع والدعاء بالانتصارات .

---

(56)Gregory the Priest, Chronical , 147 . ; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 142. ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p 316. ; Smbat Sparapet , Chronical, p 81. ;

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٤.

(٥٧) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٤.

Smbat Sparapet , Chronical, p 81.; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 142-143 ; Gregory the Priest, Chronical , 147 .

(٥٨) للمزيد من التفاصيل راجع :

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٤ – ٤٣٥.

John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 143- 145.

ثم صرحت المصادر الإسلامية بأن الرسل أخذت تترى بين الجانبين المسيحى والإسلامى فى طلب الصلح [٥٩]. وجاء عند ابن القلانسي ويوافقه أبو شامة أن مانويل بدأ فى طلب الصلح والهدنة مع نور الدين ، وأن الثاني استقبل مبعوث الأول بالترحاب فى المعسكر الإسلامى ، ورأى وقادة جيوشه الإستجابة إلى طلبه بالمهادنة ، حيث رغبوا في السلام خيرا من الحرب التى تنذر بشر مستطير ، أما الجنود والشعب فقد استحسنوا ما قرره قادتهم من الموافقة على الهدنة وشملتهم البهجة والفرح ، وشكروا الله على تحننه ولطفه بالعباد ، وشهدوا للإمبراطور برجاحة العقل وحسن التدبير ومدحوا سياسته التى أقرها بتجنب الحرب وإراقة الدماء [٦٠]. ويتضح من رواية ابن القلانسي أنها أكدت على تكرر إيفاد الرسل بين الطرفين المسيحى والإسلامى للتباحث حول شروط الهدنة و بنودها ، وأن المفاوضات سارت على مراحل عديدة .

هذا ولم يورد عند المؤرخين المسلمين أخبار حتى هذا الوقت تفيد خروج الجيش البيزنطى من أنطاكية لمنازلة المدن الإسلامية حتى طلبه للصلح . وهذا يدل على أن الإمبراطور مانويل أرسل رسله إلى نور الدين للقيام بأعمال المفاوضات وهو لا يزال فى أنطاكية وقبل خروجه بالجيش لمنازلة الأعمال الإسلامية .

كما أن المؤرخ سمباد الأرمينى وهو أحد المصادر التى أقرت ببدء المفاوضات من طرف مانويل ، فقد أفاد بأن المفاوضات جرت بين الطرفين وكان الجيش المسيحي لا يزال فى أنطاكية [٦١] . وأن نور الدين والحكام والقادة المسلمين لم يتوقعوا طلب الإمبراطور للتفاوض ، وبهتوا من هذا ، واعتقدوا أن رسله إليهم ما هم سوى جواسيس أرسلهم للاطلاع على جيش نور الدين وكيفية تنظيمه ونوع تسليحه و مقدار عدده ، ومعرفة مثل تلك الأشياء الهامة معرفتها فى أوقات الحروب ، وأخذوا يختبرون الرسل ويستقصوا عن المهمة التى جاءوا بها ، وتأكد لهم صدقهم وأنهم إنما جاءوا لأداء مهام دبلوماسية وهى تنفيذ طلب الإمبراطور فى التفاوض وعقد الهدنة ، وعندها استبشر المسلمون خيرا وانفرجت أساريرهم ، وزالت غمتهم ، وقدموا كل الإكرام أعلنوا ترحيبهم بالتفاوض ، بل وأجزلوا العطايا والهدايا لهم ومنحوهم مالا وخيول وبغال جميلة بالإضافة إلى خمسين أسير صليبى . [٦٢]

---

(٥٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧. ؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج١ ، ص ٣٨٥.

(٦٠) ابن القلانسي : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧. ؛ ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج١ ، ص ٣٨٥.

(61) Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

(62) Smbat Sparapet , Chronical, p 82- 83.; وجاء عند ابن القلانسي وأبو شامة أن نورد الدين بعد تلقيه هدايا الإمبراطور مانول قام بإهدائه مثلها .

راجع : ابن القلانسي : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٦ . ؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ص

وهنا يتفق سمباد مع المصادر الإسلامية المعاصرة فى أمور عدة فى شأن هذه المفاوضات أولها أن مانويل فى هذه المرحلة قد بدأ يراسل نور الدين لطلب الصلح وليس العكس ، وأن الجانب الإسلامى رحب بها واستجاب لها ، وأعرب عن موافقته ورضاه بمنحه الهدايا وتحرير خمسين أسير صليبى للتأكيد على حسن نواياهم . وقام بذلك وهو لا يزال بأنطاكية وقبل خروجه منها متجها لحرب المسلمين ، ويدلل على هذا أن نور الدين ظن برسل مانويل أنهم جواسيس غرضهم جمع المعلومات عن جيشه واستعداداته الحربية ، وهذا العمليات الاستخبارية تجرى فى سياق المراحل الأولى التى يتم فيها التخطيط للحروب وتنظيم الجيوش وليس بعد استكمال تجهيزاتهم العسكرية وخروجهم للحرب .

بينما يقر جريجوري المؤرخ الأرمينى أن هذه المرحلة من المفاوضات بين الطرفين المسيحى والإسلامى إنما بدأت بعد خروج الجيش المسيحى من أنطاكية ، وهو متجها فى طريقه لقتال المسلمين ، حيث خشى نور الدين من قوة الجيش المسيحي ، وعند موقع يدعى البلانة بالقرب من حلب توقف الجيش المسيحى لينظر فى رسالة جاءته من نور الدين محمود الذي طلب الهدنة من الإمبراطور ، وذلك محاولة منه لدرء الخطر عن بلاده . [٦٣]

هنا يختلف جريجوار مع المصادر الإسلامية ومع المؤرخ سمباد في هذه الأمور ويقرر أن الذي بدأ هذه المرحلة من المفاوضات هو الجانب الإسلامى ممثلا فى نور الدين محمود ، وبدأت بعد خروج الجيش المسيحي من أنطاكية وبالقرب من مدينة حلب .

أما وليم الصورى William of Tyre فيقرر أنه بعد استكمال تجهيزات الجيش للحرب خرج من أنطاكية قاصدا مدينة حلب لحرب نور الدين ، وسار بخطى سريعة وتقدم فى سيره حتى صار بالقرب من مدينة حلب ، ولا يفصلها عن الوصول أمامها سوى بضعة ساعات فقط ، ولكن حدث ما لا يمكن التنبؤ به أو تصديقه ، وهو أن الإمبراطور أمر بالوقوف فى موقع يدعى البلانة ، وقام بإيفاد الرسل إلى نور الدين في طلب التفاوض والهدنة . [٦٤]

.٣٨٤

(63)Gregory the Priest, Chronical , 147 .

(٦٤) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٥.
ويتفق المؤرخون المسلمون مثل ابن القلانسي وأبو شامة مع وليم الصورى فى الإقرار بأن الإمبراطور البيزنطي هو الذى بدأ بطلب الصلح من نور الدين وليس العكس .
راجع : ابن القلانسي : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧. ؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج١ ، ص ٣٨٤ -٣٨٥.

يتضح من هذا أن هذا المصدر الصليبى وصاحبه وليم الصورى يتفق فى روايته التى تحدث فيها عن هذه المرحلة من المفاوضات مع ما جاء في رواية المؤرخ سمباد الأرمينى والمصادر الإسلامية فى اعتبار أن مانويل هو من بدأ بطلب المفاوضات وليس نور الدين محمود.

كما يتفق وليم الصورى مع المؤرخ جريجوار الأرمينى في أن هذه المرحلة من المفاوضات حدثت بعد خروج الجيش المسيحي من أنطاكية ، وعند موقع يدعى البلانة بالقرب من حلب . بينما نرى جريجوار يختلف مع ما ورد في روايات وليم الصورى والمصادر الإسلامية والمؤرخ سمباد الأرمينى في اعتبار أن مانويل هو الذي بدأ بطلب الصلح من نور الدين ، وقد جرى هذا فى أنطاكية وقبل الخروج منها لمنازلة المسلمين .

ولأن رواية وليم الصورى جاءت مختصرة إلى حد ما وهو ما يثير الشك فيها ، فى صحة ما تناولته من أحداث أو بعضها ، ويبدو أنه حدث خلط في الأمر في روايات وليم الصورى والمؤرخ جريجوار ، ولم يوردوا تسلسل طبيعى ومنطقى وسليم عن مراحل المفاوضات ودمجوا بينهم دون تمييز .

ونستنتج من هذا أن هذه الاتصالات بين الطرفين البيزنطي والإسلامي جرت قبل خروج الجيش البيزنطي من أنطاكية . وكانت سياسة الإمبراطور أن يكسب بالدبلوماسية والمفاوضات ما يبتغيه حلفائه الصليبيين دون اللجوء إلى الحرب ، والذى طالب بها هو الإمبراطور مانويل . ويؤكد على هذا أنه سبق أن أرسل رسله إلى نور الدين للتفاوض فى أمر الهدنة والصلح وهو لا يزال فى المصيصة وقبل خروجه إلى أنطاكية .

وما يظهر على أنه تناقض فى المواقف عند الإمبراطور مانويل فى كونه اختار سلوك طريق المفاوضات مع نور الدين وعقب ذلك مباشرة نجده يجهز جيشا كبيرا لمحاربته ، فهذا ليس تناقض فى سياسته هذه بل أنه اختار طريق المسالمة والمفاوضات منذ بداية حملته هذه ولم يختار طريق الحرب وليس مع نور الدين فقط بل السلاجقة من قبله الذين أقر الهدنة معهم ، ومن بعدهم الأرمن بعد أن تصالح مع زعيمهم ثوروس ، ثم الأنطاكيين بقبول اعتذار رينو سيد إمارتهم الصليبية والصفح عنه ، ثم دخوله أنطاكية بهيئة الفاتح المنتصر .

ويبدو أنه قصد من وراء إعداد هذا الجيش المهيب إقرار هيبته على الصليبيين ونور الدين أيضا ، وعلى الأنطاكيين بتأكيد سيادته على أنطاكية ، وأنه أراد أن يحقق غلبته صلحا وليس جبرا ، ورأى أن ما

يستطيع الحصول عليه صلحا هو أفضل من الحصول عليه حربا . وقد نجحت سياسته هذه نجاحا منقطع النظير . وظن أنها تفيده فى التعامل بها مع نور الدين محمود . ويمكن اعتبار هذه المفاوضات مرحلة أولى من التفاهم بينهما ويتبعها مراحل أخرى .

وورد في رواية جريجوار الأرمينى أن نور الدين رأى ضخامة الجيش وقوته فخشى منه وأراد عقد مصالحة مع الإمبراطور ، وعرض عليه اطلاق عشرة آلاف أسير صليبى ، وأن يصير تابع له ، وبعد وصول رسالته هذه للمعسكر الصليبى تباحث فيها الأمراء والقادة ويقصد بهم الملك الصليبى والأمير رينو دي شاتيون والأمير ثوروس الأرمينى ، واستقروا على أرسال سفارة إليه يعلنوا فيها أن ما قدمه لا يكفى ويطلبون منه المزيد وهو أن يقوم بالانسحاب من الأراضى التى تحت سلطانه ، أما أن يقوموا بالحرب عليه وإعمال القتل فى جيشه ورجاله ونسائه وحتى الأطفال الرضع . (٦٥)

يتضح من هذا أن المؤرخ جريجوار سار على منهجه السابق ونفس رؤيته للأحداث فى كون أن نور الدين محمود كان يخشى قوة وبأس الجيش المسيحي ، وهو الذي بدأ وطلب مفاوضة الإمبراطور . وعند النظر إلى هذه البنود نرى أنها غير سليمة لأنها تخالف العقل والمنطق ، وبها مغالاة كبيرة فى عدد الأسرى الصليبيين فى سجون نور الدين وقدرهم جريجوار بعشرة آلاف أسير ، وهو عدد كبير جدا لا يمكن التسليم به ولا يصدقه عقل ، كما أنه كيف يصير نور الدين تابعا للإمبراطور وهو القائد القوي الذي تمتد دولته من شرق الفرات وأرض الجزيرة حتى الرها وممتلكاتها وحلب ودمشق وحماة وشيزر حتى تتاخم حدود إمارتى طرابلس وأنطاكية الصليبيتين ، كما يفصله عن بيزنطة وعاصمتها أراضى وأقاليم آسيا الصغرى كلها وهي مساحة شاسعة وممتدة وبعيدة تساهم بدورها فى التباعد بينه وبين مانويل . وربما قصد جريجوار أن يصير نور الدين حليفا للإمبراطور وليس تابعا . وكيف يتنازل نور الدين عما استعاده بالحرب من أراضي إمارة الرها التي دانت له بكاملها وما استعاده من مدن شرق نهر العاصي وكانت تابعة لإمارة أنطاكية الصليبية ، فى مقابل الحصول على مجرد هدنة مع جيش العدو .

لذلك يرى الباحث أن هذه الرواية مشكوك فى صحتها تماما ، وغير مقبولة على الإطلاق . ولعل الشيء الوحيد الذى صدقت فيه هو توجيه الجيش المسيحى التهديد لنور الدين بالحرب والقتال ، وهو الشيء الذى يوافق الغرور والتكبر الذى وقع فيه الصليبيين عندما حصلوا على مساندة الجيش البيزنطى والقوات الأرمينية .

(65)Gregory the Priest, Chronical ،
ربما قصد المؤرخ جريجوار الأرمينى الإشارة أيضا إلى مدن دمشق وحلب وحمص وحماة وشيزر وغيرها مما يخضع لسلطة نور الدين .

أما سمباد فيقرر أن الإمبراطور طلب من نور الدين محمود تسليم المدن التي استعادها من الصليبيين بالحرب وهي مدن إمارة الرها وبعض المدن التي استولى عليها من إمارة أنطاكية ، وتحدث عن أمر إطلاق الأسرى الصليبيين ، ولم يحدد عدد لهم . (٦٦)

عند عقد مقارنة بين روايتي سمباد وجريجوار يتضح منه أن رواية المؤرخ سمباد اختلفت مع رواية المؤرخ جريجوار ، وبينما يقرر جريجوار أن نور الدين هو الذي بدأ المفاوضات مع مانويل وهو الذي قدم تنازلات بإطلاق سراح الأسرى الصليبيين فى السجون لديه ، ويصير تابعا للإمبراطور ، نرى سمباد يقرر عكس هذا وأن الإمبراطور هو الذى أرسل لنور الدين يطالبه بهذه الشروط حتى يجرى معه صلحا .

وإن كان جريجوار في روايته أشار اختصارا إلى شرط تنازل القائد المسلم عن الأراضي التي استعادها من الصليبيين لكنه لم يحدد المقصود بها ، لكننا نرى رواية المؤرخ سمباد تفسر الأمر وتأتى على تحديد هذه المدن وهي مدن إمارة الرها ومدن إمارة أنطاكية التي استعادها القائد المسلم من الصليبيين .

وإن لم يكن سمباد وضع تقدير لعدد للأسرى المقصود تحريرهم لكن جريجوار قدرهم بعشرة آلاف أسير صليبى ، ويفهم من عدم تحديد سمباد لعدد الأسرى الصليبيين أن المقصود به كل الأسرى فى سجون نور الدين . وأضاف جريجوار شرط لم يرد عند سمباد وهو أن يصير نور الدين تابعا للإمبراطور مانويل . وعلى الجانب الآخر قرر جريجوار إما أن يقبل نور الدين بشروط الجانب المسيحى أو ينتظر الحرب التى لا هوادة فيها .

وفى ضوء الروايات التاريخية السابقة نستطيع أن نستدل على ظروف وبنود المفاوضات التى جرت بين الجانبين المسيحى والإسلامى فى هذه المرحلة وهي : أنها جرت قبل خروج مانويل من أنطاكية ، واشترك فى وضع بنودها الملك الصليبي والأمراء الصليبيين مثل رينو سيد أنطاكية وأيضا الأمير ثوروس الأرمينى باعتباره محالفا للإمبراطور ، وقد بدأ مانويل مراسلة نور الدين محمود يفاوضه فى أمر الصلح بشروط تسليم الأخير إمارة الرها ومدنها كاملة والمدن التي استعادها من إمارة أنطاكية ، واطلاق الأسرى الصليبيين فى السجون الإسلامية ، وربما أن يصير نور الدين حليفا للإمبراطور وليس تابعا . ويتضح من هذا أن جريجوار جانبه الصواب فى روايته هذه ، وكان يميل لجانب الإمبراطور البيزنطي كرها فى نور الدين محمود .

(66) Smbat Sparapet , Chronical, p 82. ;

ويعود المؤرخ سمباد ويتناول موقف نور الدين ردا على شروط التفاوض التي وضعها مانويل وأراد إلزامه بها فيقرر أن نور الدين رفض أن يسير التفاوض على هذه الشرط ، وأعلن لرسل الإمبراطور عدم قبوله له ، حتى تضع الحرب أوزارها بين الطرفين . (٦٧)

يتضح من هذا أن المؤرخ سمباد أكد على رفض نور الدين لشروط التفاوض التي وضعها مانويل والصليبيين والأرمن ، وهو الذي أختار أن تكون الحرب هى الفيصل بينهما ، وهو ما يثبت صحة ما رواه سابقا بشأن هذه الشروط والظروف المحيطة بها .

ومما لا شك فيه أن نور الدين لا يقبل أن تفرض عليه شروط غير متوازنة ، أو يتنازل عن المدن التى استعادها حربا ، أو يطلق الأسرى الصليبيين دون أن يقايضهم بأسرى مسلمين ، أو يصير تابعا لأى سلطة وليس متحالفا . ولهذا رأى هذه الشروط مجحفة وغير مناسبة ولا توافق قائد كبير بمقداره . وهذا الرفض من جانب نور الدين واختياره للحرب إنما يعنى إنهاء هذه المرحلة من المفاوضات .

ويضيف سمباد أن الإمبراطور أصيب بخيبة أمل كبيرة بعد تلقيه رد نور الدين هذا واختياره الحرب ، وقام بعقد اجتماع مع الملك الصليبى والأمراء الصليبيين وثوروس الأرمينى والقادة ليتباحث معهم أى الطرق يسلكوا فيها . ويقرر سمباد أن الإمبراطور رفض مبدأ الحرب ضد نور الدين وأراد أن يهادنه ، وتعلل بأن أخبار سيئة جاءته من العاصمة القسطنطينية تفيد بحدوث تمرد ضده هناك ولهذا فهو يتعجل العودة إلى بلاده . وعندها اعترض الملك الصليبى والأمير رينو والأمراء الصليبيين على الصلح وأرادوا القتال حيث كان يحدوهم الأمل في تحقيق انتصار كبير على عدوهم ، حتى أنهم قالوا له : " أيها الإمبراطور نلتمس إليك أن لا تحول الفرح الذى نحن عليه الآن إلى حزن ، فإن أعداء المسيح ينتفضون رعبا الآن أمام اتحادنا ضدهم ، وإن عقدت سلام معهم فسوف يتم تهجير المسيحيين كاملا من هذه الأرض ، ويتعرضوا للمهانة والذل ، سوف نصير دون أهمية ونفقد مكانتنا ، ونكون هدفا للسخرية والتعاييرِ" . والتمسوا منه ثلاثة أيام فقط يقوم فيها الجيش المسيحى بمهاجمة حلب ، وبعدها يتصرف كما يشاء ، وأن أراد مهادنة نور الدين محمود فليهادنه . (٦٨)

يتضح من هذا أن سمباد قرر أن اجتماع الإمبراطور بالملك والأمراء الصليبيين جرى فى أنطاكية ، ولم يخرج الإمبراطور لحرب نور الدين ، وأنه قد قرر أن ينهى الموقف معه بعقد هدنة وليس حربا . ولكن

(67) Smbat Sparapet , Chronical, p 82.
(68) Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

الصليبيين كانوا يأملون إنهاء الموقف بالحرب وليس الهدنة والصلح . كما أن ما التمسوه من الإمبراطور بمد فترة إقامته ثلاثة أيام أخرى المقصود منها أن المسافة بين أنطاكية حتى حلب يقطعها الجيش فى ثلاثة أيام فقط ، وهو تقدير سليم حيث أن المسافة بين البلدين تقدر بمائة كيلو متر فقط ، يقطع الجيش منها خمس وثلاثون كيلومتر يوميا .

وبينما يقرر سمباد رفض الإمبراطور الإستجابة لتوسلات الصليبيين بالخروج من أنطاكية والتوجه إلى الأراضى الإسلامية والحرب ضد نور الدين [٦٩]نرى مصادر أخرى تقرر عكس ذلك ، وورد في رواية وليم الصوري أنه بعد الإقامة لمدة ثمانية أيام في أنطاكية استجاب لرغبات الصليبيين على مساندتهم فى قتال نور الدين محمود ، وعمل على إعداد نفسه وجيشه وما تقدم إليه من القوات الصليبية وعلى قيادتها الملك بلدوين والأمير رينو وفرسان جماعة الداوية ، وغيرهم من القادة الصليبيين ، كما اشترك معهم الأمير ثوروس وقواته ، وأمر طائفة من جنوده أن يُعلموا قادة كتائب الجيش بالحرب ، لكي يجهزوا عجلاتهم الحربية ، ويتحركون بجنود كتائبهم باتجاه مدينة حلب في يوم حدده لهم . ثم خرج هو وراءهم برفقة الملك الصليبى والأمراء الأخرين وسط قرع الطبول ونفير الأبواق . [٧٠]

ويتفق المؤرخ البيزنطي جون كيناموس John Cinnamus مع وليم الصوري في أن الإمبراطور قضى ثمانية أيام فى أنطاكية ، وبعدها خرج لمهاجمة نور الدين ، ولكنه يختلف معه فى إقراره بأن نور الدين كان يعلم بهذه التحركات منذ خروجهم من أنطاكية . [٧١]

يتضح من رواية وليم الصورى هذه أنها كانت رواية موجزة ، لكن على الرغم من إيجازه فيها إلا أنه كان دقيقا فيما تناولته روايته من أحداث تتعلق بالجيش المسيحى وهى أنها ذكرت بوضوح القوات المشاركة فى الجيش وهم الجيش البيزنطى وعلى رأسه الإمبراطور مانويل وقادة كتائبه و الجيش الصليبي بقيادة الملك بلدوين ، والقوات الأرمينية بقيادة ثوروس ، وكون الجيش المسيحي أعتزم حرب نور الدين ، وتحرك من أنطاكية باتجاه حلب ، وأن الإمبراطور أعلن اتجاه المسير لقادة الكتائب فقط دون الجنود ، ويدل هذا على أن الإمبراطور أراد أن يجعل وجهة سير الجيش المسيحى سرا يعلمه هو وقادة الكتائب والملك الصليبى والأمير الأرمينى فقط ، حتى لا يعلم نور الدين محمود بها الجيش حتى يضمن عنصر المفاجئة . وأن جون كيناموس أتفق معه فى كل هذا ما خلا إقراره بجهل نور الدين لتحركات الجيش المسيحي .

(69) Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

(٧٠) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٥.

(71)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 143.

ويبدو أن الإمبراطور قصد المكوث فى أنطاكية ثمانية أيام متتالية قبل خروجه منها لحرب نور الدين يتنعم فيها بالراحة وملذات الأطعمة ، وحضور الحفلات والسباقات والألعاب الرياضية وكان غرضه إراحة جيشه قبل الدخول فى المعارك الحربية المنتظرة ، وأن يصل أخبار ذلك إلى نور الدين فيعتقد بعدم عزمه على خوض الحرب ضده . وهي سياسة اتبعها مانويل فى هذا الوقت مع الجانب الإسلامي ، وظهرت أولى خطواتها بالسابق قبيل خروجه من المصيصة عندما أرسل رسوله إلى نور الدين محملا بالهدايا وجميل الخطاب حتى يخفى عنه عزمه على محاربته .

كما أن وليم الصورى أختلف مع المؤرخ سمباد الذى قرر أن مانويل رفض التحرك بالجيش المسيحى والخروج من أنطاكية لمحاربة المسلمين . وبناء عليه نستنتج أن رواية وليم الصورى المقتضبة أغفلت الحديث عن المرحلة السابقة من المفاوضات التي قامت بين مانويل ونور الدين قبل خروج الجيش المسيحي من أنطاكية باتجاه المدن الإسلامية .

وقد تناولت بعض المصادر وصف هذا الجيش وتحدثت عن القوات المشتركة فيه والأعداد الكبيرة لجنوده وقادته ، ومنهم ما وصفه بالقوى التى لا تقهر التى ضمت أقوى الجيوش المسيحية ، وكان مظهر الإمبراطور القوى وجنوده يتشابه مع قطيع الأسود الكاسرة فى قوتها وعنفوانها أو يشبهون النسور القوية التى تحلق بحثا عن صيد طائر الحبارى أو الحجل [٧٢]. وكان يضم محاربين من العديد من الممالك الصليبية والمسيحية [٧٣] . كما أكد مصدر عربى معاصر على كثرة فرق وأعداد جنود هذا الجيش وأشار إلى أنه يشمل جند كثيف وغير قابل للأحصاء . [٧٤]

ونرى أحد المصادر يصف مشاعر الجيش المسيحى وهو فى سيره نحو أنطاكية أنه كان مثل شعلة متقدة من الحماس ويفضلون الموت والشهادة عن العودة والانسحاب وعند اقترابهم من حلب شعروا بالسعادة وغمرهم السرور لأنهم مقبلون على تدمير القوات الإسلامية التي أضرت بالصليبيين أضرار بالغة وقتلت منهم الكثيرين ، وسوف يحررون الكنيسة التى وقعت تحت نير المسلمين وأشياء من هذه الدعايات التى كانت أساس الحملة الدينية الدعائية التي قامت عليها الحروب الصليبية منذ بدايتها . [٧٥]

---

(72)Gregory the Priest, Chronical , 147 .

(٧٣) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٥.

Smbat Sparapet , Chronical, p 81.

(٧٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧.

(75)Gregory the Priest, Chronical , 147 .

هذا وقد اتفق عدد من المصادر الأخرى مع وليم الصورى فى الرأى بأن مانويل أراد أخفاء وجهة جيشه حتى يفاجأ المسلمين بالحرب دون أن يدركوا تحركاته واتجاهاتها، وعند المصادر الإسلامية أنه أراد مهاجمة المعاقل الإسلامية ، ولكنها لم تشير إلى أى مدينة يتوجه [٧٦] . كذلك الأمر عند المؤرخ جريجوار الأرمينى . [٧٧]

ويتضح منه أن مانويل قصد عدم الإفصاح عن وجهة جيشه ، وأية مدينة من مدن نور الدين محمود يبدأ بمهاجمتها ، حتى يعمل على تشتيت فكر وجهود الأمير المسلم في أية مدينة يبدأ مانويل بمهاجمتها وتكون أحرى بالاهتمام بين مدنه ، ويجعل نور الدين فى حيرة من أمره . ويضمن المفاجأة ويكون له اليد الطولى فى الحرب .

وقد بلغ نور الدين أن الجيش المسيحى استكمل استعداداته الحربية لنزال المسلمين ، وعرف من عيونه أنها استعدادات ضخمة وتضم قوات بيزنطية وصليبية وأرمينية ، وعلم بتحركاتهم وخروجهم من أنطاكية وسيرهم باتجاه الأراضي الإسلامية ، مما جعله يخشى من قوة هذا الجيش الكبير [٧٨] . وأخذ يراقب الموقف عن كثب ، ويهتم بإرسال عيونه إلى كل المناطق التي يعسكر فيها الجيش البيزنطي والقوات الصليبية المتحالفة . [٧٩]

وفى ضوء ما وصل نور الدين من معلومات عن طريق عيونه قام بعدد من الإجراءات كان أولها أنه أرسل فى طلب الإمدادات العسكرية من كل القوى الإسلامية المحيطة به فقدم إليه عساكر الموصل بقيادة أخيه قطب الدين ، وقوات من مدينة ماردين وعلى رأسها زين الدين بن تمرتاش ، وقوات من أربيل بقيادة نجم الدين علي كوجك ، وعساكر آمد بقيادة قلج أرسلان بن داود ، وكثير من القوات التي جاءت لنجدته [٨٠] .

---

(٧٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧. ؛ ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ص ٣٨٤.

(77)Gregory the Priest, Chronical , 147 .

(٧٨) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٥.

John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p 143. ; Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

(٧٩) ابن القلانسى : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٦. ؛

Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

(٨٠) ابن القلانسي : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٨. ؛ ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ص ٣٨٦.

ولأنه لم يكن يعلم وجهة جيش العدو نراه يقوم بتفقد أحوال المدن الإسلامية الكبيرة فى دولته ومن أهمها حمص وحماة وشيزر وتقوية حاميتهم العسكرية وترتيب الدفاع عنهم ، وإيقاظ حماستهم الحربية ، ومن بعدها انتهى بدخوله حلب التى وصلها فى الثامن عشر من ربيع أول عام 554 هـ / منتصف أبريل عام 1159 م ، واستقبل الجيوش الإسلامية التى بدأت تتوافد عليه ، وأخذ يعمل على الإعداد للحرب والمقاومة تحسبا لأى عمل حربى يقوم به الإمبراطور .[٨١]

ولعل اقامة نور الدين فى حلب لأنها المدينة الإسلامية الأقوى بين مدنه وبها مركز الحكم والإدارة لدولته ، وفيها تجتمع الجيوش الإسلامية ، ومنها تخرج للحرب . وربما علم بقوة عقله أنها المقصد الأول والأهم للجيوش المعادية ، وقد صدق حدسه.

يتضح من هذا أن نور الدين كان يملك فرق عسكرية استطلاعية ماهرة فى أعمالها فى جمع المعلومات الدقيقة عن العدو وجيشه وتحركاته ومدى قوة استعداداته الحربية ، ونتيجة معرفته بهذه المعلومات قام بإجراءات وإستعدادات مناسبة للمقاومة كان من أهمها تقوية تحصين دولته ومدنه وطلب الإمدادات العسكرية الإسلامية ، وكان محقا في كل ما فعله ، مما يشهد له على أنه قائد عسكرى ماهر ويتمتع بذكاء حاد .

والحديث عند المؤرخ جريجوار حيث تحدث في روايته أن الجيش المسيحى سار فى طريقه لمحاربة نور الدين محمود ويملؤه السرور والفخر ، وبينما هم فى موضع البلانة حدث فجأة أن أستقبل الإمبراطور رسلا جاءته من القسطنطينية تخبره بحدوث تمرد ضده طمعا في الاستيلاء على العرش الإمبراطوري ، وهو ما دعا الإمبراطور بوقف تقدم الجيش نحو حلب وتعجل الصلح مع نور الدين . وينفرد جريجوار بذكر أن البلانة تقع على مبعدة يوم من مدينة حلب ، وأن القوات المتحالفة توقفت فى موقع منها يدعى تاكستان Tachkastan .[٨٢]

وبالنظر إلى المسافة التى تفصل موقع البلانة عن مدينة حلب وهي مسافة يوم يرى الباحث أن الجيش المسيحي كان على مفترق طرق ولا يعرف أفراده أى مدينة أو موقع سيكون هدفا للهجوم . وهذا ما اتفق

أشار المؤرخ الأرمينى سمباد إلى هذه الإجراءات حيث أفاد أن نور الدين أخذ يرسل فى طلب النجدة من القوى الإسلامية واستطاع تجييش أعداد كثيرة من المحاربين . ووضع قوات عسكرية كافية فى المدن الإسلامية التى تخضع لسلطته . كما أشار المؤرخ المسلم ابن القلانسى إلى قيام نور الدين بطلب الأمدادات العسكرية من أمراء وملوك الدولة النورية والسلاجقة .
راجع : Smbat Sparapet , Chronical, P 82
ابن القلانسى : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧.

(٨١) ابن القلانسى : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٦- ٣٥٧.

(82)Gregory the Priest, Chronical , 147 .

عليه كثير من المصادر بأن الإمبراطور لم يعلن عن وجهته حين خرج من أنطاكية لمحاربة المسلمين ، أو أن الجنود عرفوا وجهتهم بعد اقترابهم من مدينة حلب وليس قبل تحركهم من أنطاكية . وهذا يعد من طرق المراوغة والخديعة التي استخدمها مانويل فى حروبه حتى يباغت عدوه فجأة .

كما ورد فى رواية وليم الصوري أن الجيش المسيحى توقف فى البلانة وقام الإمبراطور بإيفاد الرسل إلى نور الدين محمود الذى تصادف وجوده فى حلب طالبا الصلح ، وقد تعجل مانويل فى طلب الصلح بسبب أحداث وقعت في بلاده وتطلبت ضرورة عودته [٨٣] . ويذكر عدد من المصادر أن هذا الموقف لم يكن يتوقعه القوات المتحالفة وخاصة من الصليبيين [٨٤] ، كما لم يتوقعه المسلمين . [٨٥]

وتعليقا على ما تناولته رواية وليم الصورى هنا من تصادف وجود نور الدين محمود بحلب فى هذا الوقت ، فهذا يعنى أن وليم الصورى لم يكن يعرف مكان تواجد القائد المسلم تحديدا حين اقترب الجيش المسيحي من حلب ، ويدل هذا على حقيقة رغبة الإمبراطور مانويل فى عدم الإفصاح عن وجهة جيشه فى خروجه لحرب المسلمين ، ويبدو أن مانويل قرر مهاجمة حلب لأنه كان يعتقد عدم وجود نور الدين بها .

كما يتضح منه أن الإمبراطور والقادة والأمراء المشاركين فى الجيش جهلوا موقف نور الدين وأعماله في كيفية مواجهتهم عسكريا ، وعدم قدرتهم الوقوف على تحركاته و استعداداته للحرب ضدهم ، وهذا يدل على براعة نور الدين فى اخفاء تحركاته عن أعدائه ، وقيامه بمناورات حربية ناجحة .

وعند مقارنة روايتى جريجوار و وليم الصورى يتضح وجود تشابه كبير بينهما فكلاهما اتفقا على أن الجيش المسيحى خرج من أنطاكية وسار فى طريقه لحرب المسلمين ولكنه توقف في البلانة حيث علم مانويل بقيام صراع على العرش البيزنطي فكان هذا دافعا له على طلب الصلح من نور الدين محمود والتعجل في عقده . ويستنتج من هذا أن الإمبراطور بدأ مرحلة جديدة من المفاوضات مع نور الدين محمود بعد خروجه من أنطاكية وهو بالبلانة بالقرب من حلب .

واتفقت المصادر على السبب الذى دفع الإمبراطور لطلب الصلح وهو أنه علم بقيام تمرد ضده داخل القسطنطينية وأراد قادة التمرد الإستيلاء على العرش البيزنطي [٨٦] . وانفرد المؤرخ جون كيناموس بذكر

(٨٣) وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٥.

(84)Gregory the Priest, Chronical , 147 .; Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

(٨٥) ابن القلانسى : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧.

(86)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 141.;Gregory the Priest, Chronical ,147 .; Smbat Sparapet, Chronical, p 82.;Michel Le Syrien, Chronique, tom.III,p 316.

أسماء قادة التمرد وهما تيودور Theodor الملقب ستيبوت وجورج George الملقب بيرهوجورجوس [٨٧].

وعقب هذا أوجبت الضرورة على مانويل بإيفاد رسله إلى نور الدين لحسم الموقف عن طريق المفاوضات ، وجاء فى مصادر أخرى أن المفاوضات جرت على أن يطلق نور الدين سراح مقدمى الصليبيين المأسورين فى السجون الإسلامية بحلب ودمشق ، وكان منهم برتراند أوف بلانكفورت رئيس الفرسان الداوية ، وبرتراند أف تولوز Bertrand of Toulouse المطالب بحكم إمارة طرابلس الصليبية ، هذا بالإضافة إلى إطلاق سراح جماعة من الأسرى الصليبيين الأخرين . [٨٨]

وقد أضاف المؤرخ البيزنطي كيناموس أن الاتفاقية احتوت أيضا على تحرير بعض الأسرى من الصليبيين البارزين ، وعدد كبير من عموم الصليبيين قدرهم بنحو ستة آلاف أسير وكانوا مشاركين فى الحملة الصليبية الثانية على بلاد الشام . كما أضيف إليها بند أخر يضمن مساندة نور الدين وقواته للإمبراطور فى حروبه . [٨٩]

وبمقارنة رواية وليم الصورى بما جاء في رواية كيناموس نرى أنهما اتفقا على تحرير مقدم الداوية برتراند ، ولكنهما اختلفا فى تحديد عدد المحررين من الصليبيين فلم يأت الصورى على تحديدا لهم ، بينما كيناموس حددهم بستة آلاف ، وهو عدد كبير ، ويبدو أنها مبالغة منه قصد من ورائها تعظيم دور إمبراطوره مانويل والعلو بشأنه في هذا العمل ، وإبراز تفضله على الصليبيين ، وهو النهج الذى اتبعه كيناموس فى كتابه التاريخي .

وجاء في رواية جريجوار الأرمينى أن نور الدين محمود أطلق سراح عدد خمسين أسير صليبى فقط كانوا من مقدمى الصليبيين ، ويصرح بأن هؤلاء فقط هم الذين طلب الإمبراطور إطلاق سراحهم . وراح المؤرخ يوجه اللوم الشديد إلى مانويل بسبب عزمه الانسحاب قبل مهاجمة حلب ، وينعته بالخائن الذي باع

وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٥.
يذكر أن المصادر أشارت فقط إلى حدوث تمرد كبير فى العاصمة البيزنطية دون ذكر تفاصيل عنه . والمصدر الوحيد الذى ذكر بعض أخبار عنه هو تاريخ جون كيناموس .
(87)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 141. ;

(88)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 143- 144. ;

وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٥.
(89)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 133- 144.

قضية الصليبيين بل تخلى عن نجدة المسيحيين وعن الجهاد المقدس ، ويصفه بالثعلب الضعيف غير القادر على القنص [٩٠] . ويبدو أن جريجوار أخطأ فى تقدير عدد الأسرى الصليبيين الذين أطلق سراحهم ، وجعلهم عدد قليل وذلك بهدف التقليل من أعمال الإمبراطور لأنه كان يكرهه .

وعلى الجانب الآخر تناولت المصادر الإسلامية الحديث عن هذه الاتفاقية في روايات مختصرة ، وجاء في رواية ابن القلانسي وابن قاضي شهبة أن نور الدين أطلق سراح مقدمى الصليبيين ، دون أن يفصح عن أسماء لأحد منهم أو تحديد عدد لهم [٩١]. ويستنتج من هذه الرواية أن نور الدين أفرج عن مقدمى الصليبيين فقط ، ولم يطلق سراح غيرهم من الأسرى الصليبيين .

ونرى مصدر إسلامي آخر ينفرد بذكر بند آخر من بنود الهدنة هذه وهى أنه تم الإفراج عن عدد ألف أسير مسلم ممن كان مقبوض عليهم فى سجون أنطاكية [٩٢] . وهذا يدل على كثرة أعداد الأسرى المسلمين الذين تم الإفراج عنهم من الجانب الصليبي . وأن نور الدين قايض بهم مقدمى الصليبيين .

وبمقارنة هذه الرواية بما جاء عند المؤرخ البيزنطي كيناموس بشأن عدد الأسرى الصليبيين الذين أطلق سراحهم وقدره بستة آلاف أسير ، يتضح أن نور الدين قام باطلاق سراح عدد كبير من الأسرى الصليبيين لا يقل عن عدد الأسرى المسلمين الذين تم الإفراج عنهم ، لأنه غير منطقى أن يقايض اطلاق ألف أسير مسلم بعدد قليل من الأسرى الصليبيين . وهو ما يحقق مبدأ التكافؤ في بنود الاتفاقية بين الجانبين الإسلامى والمسيحى ، وهو المبدأ الذى تقره الاتفاقيات عندما لا يكون هناك غالب أو مغلوب بين طرفيها .

وأضافت المصادر قيام الإمبراطور مانويل بإرسال هدايا للقائد نور الدين عبارة عن ثياب فاخرة كثيرة وخيول وجواهر ثمينة كان من بينها جوهرة كثيرة الثمن يندر أن يوجد مثلها وخيمة كبيرة مصنوعة من الحرير ومبلغ كبير من المال . [٩٣]

(90)Gregory the Priest, Chronical , 147 . ; Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

(٩١) ابن القلانسى : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ . ؛ ابن قاضى شهبة (ت٨٧٤هـ / ١٢٧٥م) بدر الدين محمد بن أبى بكر : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ ، ص ١٥٦.

(٩٢) ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، المجلد الثالث ، القسم الثانى ، دراسة وتحقيق صديق محمود على الألفى ، رسالة ماجستير ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠١، ص ١٠٢.

(٩٣) ابن القلانسى : زيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٨ . ؛ ابن قاضى شهبة : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، ص ١٥٦. ؛ Smbat Sparapet , Chronical, p 82.

يتضح مما سبق أن كثير من الروايات التاريخية المتعلقة بهذه المعاهدة فى المصادر التاريخية كثر بها الخطأ والخلط ، واختلفت فيما بينها فى مراحل المفاوضات وبنودها ، وكثير من أصحابها المؤرخين من الجانبين المسيحى والإسلامى كانوا يميلون إلى نصرة حاكمهم وتمجيده وإظهاره فى موقف البطولة على حساب الطرف الآخر ، مما جعل الباحث يبذل كثير من الجهد والبحث الدقيق للوصول إلى الحقيقة مجردة . وتوصل الباحث إلى العديد من النائج أولها أنه سبق الهدنة بين الإمبراطور والملك نور الدين محمود استعدادات حربية ضخمة لكلا الجانبين البيزنطي والإسلامي ، وأسهبت المصادر الأجنبية فى تناول هذه الاستعدادات فى جانبها البيزنطي والمسيحي عامة ، ولكن المصادر على اختلافها أوجزت كثيرا فى الحديث عن التجهيزات الحربية للجانب الإسلامي ، فقد كانت القوى المسيحية تقف صفا واحدا فى مواجهة نور الدين محمود ، وضمت عناصر لتحالفات البيزنطيين والصليبيين والأرمن . كما سبقها تقارب دبلوماسى بين بيزنطة والصليبيين والأرمن ، توج بمصاهرة سياسية بين الملك الصليبي بلدوين الثالث بعد زواجه من ثيودورا ابنة أخى مانويل ، كما نتج عنه تحالف عسكرى بين القوى المسيحية متمثلة فى بيزنطة والأرمن والصليبيين . ووقفت كل هذه القوى فى وجه نور الدين محمود ، ولكن ما حدث فى القسطنطينية من تمرد جعل الإمبراطور مانويل يتعجل ويطلب الهدنة من الجانب الإسلامى ، ويبدو أنها كانت إحدى اختيارات الإمبراطور منذ خروجه بجيشه من القسطنطينية فى سبتمبر عام 1158 م ، حيث تعددت مراحل المفاوضات بين الجانبين ، كان أولها فى المصيصة قبل خروج الإمبراطور إلى أنطاكية فى أبريل عام 1159م ، وقد بدأها الإمبراطور ، وفيها أرسل كلا من الطرفين هداياه إلى الطرف الأخر ، وذلك تعبيرا عن حسن النوايا . ثم كانت المرحلة الثانية والإمبراطور يقيم فى أنطاكية ، وقد بدأها الإمبراطور أيضا ، وفيها طالب نور الدين أطلاق سراح عشرة آلاف أسير صليبى ، والتنازل عما استعاده من الصليبيين من إمارة الرها بكاملها والمدن التابعة لإمارة أنطاكية بشرق نهر العاصي ، وأن يصير تابعا للإمبراطور . وقد رفض نور الدين هذه الشروط ودعا للحرب . وهو ما نتج عنه توجيه الجيش الإمبراطوري للسير نحو حلب ، وبالقرب منها وعند موقع البلانة جرت المرحلة الثالثة من المفاوضات بين الجانبين ، وقد أوردت المصادر بنودها وكانت رحيل الإمبراطور عن مهاجمة المسلمين في حلب مقابل إطلاق سراح عدد من مقدمى الصليبيين فى السجون الإسلامية ومنهم برتراند أف تولوز ، وعدد من الصليبيين لا يقل عن ألف أسير ، والإفراج عن ألف أسير مسلم ، والإتفاق على تحالف نور الدين محمود مع الإمبراطور ومساندته فى الحروب ضد أعداء الإمبراطورية ، وتبودلت الهدايا بين الجانبين للتأكيد على حسن النوايا ، وعقدت الهدنة بينهما . وحصل مانويل على مكاسب عظيمة من حملته هذه كان أهمها بسط النفوذ البيزنطي وتقويته فى ولاية قليقية الأرمينية وإخضاع ثوروث الأرميني وكذلك الحال مع أمارة أنطاكية الصليبية التي دانت للسيادة البيزنطية من جديد وأعترف رينو بقوة الإمبراطور البيزنطي وسيادته السياسية والدينية على أمارته

، كذلك أبرز قوة بيزنطي في كافة الإمارات والمدن الصليبية ، وأظهر قوته للأمير نور الدين محمود ، وربحه حليفا له عوضا أن يحاربه ، ويبدو أن الإمبراطور رأى الاشتباك في حرب ضده يعد مغامرة كبيرة غير مضمونة النتائج ، وخشى أن يلحق به هزيمة مثل تلك التى تعرض لها ملوك الغرب الأوربى فى الحملة الصليبية الثانية أمام دمشق ، لذلك لم يجازف بالحرب صونا لنفسه وجيشه ، وسار على سياسة من لا تستطيع أن تحاربه هادنه أو صالحه وحالفه .

المصادر العربية

- ابن الأثير (ت 630 هـ / 1234 م) عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني الشهير بابن الأثير: الكامل في التاريخ ، المعتنى به أبو صهيب الكرمي ، 12 جزء في مجلد واحد ، الأردن : بيت الأفكار الدولية ، د.ت.

- ابن العديم (660 هـ / 1262 م) كمال الدين أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم الحلبي الحنفي : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، وضع حواشيه خليل المنصور ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996.

- ابن الفرات (ت 807 هـ / 1405م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، المجلد الثالث ، القسم الثاني ، دراسة وتحقيق صديق محمود على الألفى ، رسالة ماجستير ، جامعة الزقازيق ، 2001.

- ابن الفوطي (المتوفى: 723 هـ) كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني :)مجمع الآداب فى معجم الألقاب ، تحقيق محمد الكاظم،6 أجزاء، الجزء 4 ، إيران : مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، 1416 هـ .

- ابن قاضى شهبة (ت874هـ / 1275 م) بدر الدين محمد بن أبى بكر : الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، 1971.

- ابن القلانسي (550 هـ /1160م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد : تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط بن الجوزي والحافظ الذهبي ، القاهرة : مكتبة المتنبى ، 1997 .

- ابن كثير القرشى (ت 774 هـ /1373 م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، مجلد واحد ، اعتنى به حسان عبد المنان ، لبنان : دار الأفكار الدولية ، 2004 .

- أبو شامة (ت 665 هـ / 1267 م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، حققه وعلق عليه إبراهيم الزيبق ، أربعة أجزاء وجزء خامس للفهارس ، الجزء الأول ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997 .

- أسامة بن رشد الكناني الشيزري: كتاب الاعتبار ، تقديم وتعليق عبد الكريم الأشتر ، الطبعة الثانية ، بيروت : المكتب الإسلامى ، 2003.

- ابو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي المعروف المقدسي البشاري (380 هـ/ 990 م) : أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة مدبولى ، 19931.

- أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف ابن خرداذبة (ت 280 هـ/ 893 م) : المسالك والممالك ، بيروت : دار صادر ، 1889.

- ابى إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف الكرخي(ت 346 هـ / 957م) : مسالك الممالك ، ليدن ، 1937.

- ياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1228) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين : معجم البلدان ، 5 أجزاء ، الجزء 1 الأول ، بيروت : دار صادر ، 1977.

المصادر الأجنبية

- Anonymous, The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle , trans. By Tritton , A. S. , not. by Gibb , H. A. R., Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No. 2, pp 273 -305, Cambridge, (April, 1933) .

- Gregory the Priest, Chronical , in : Matthew Of Edessa Chronical, trans.By Robert Bedrosaian , Sources of the Armenian Tradition Series, New Jersey, 2017.

- John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, trans. By Brand, Ch.M.,New York , 1976.

- Michel Le Syrien , Chronique, trans. by Chabot, J.B., 3 Tom., , tom. III , Paris , 1905.

- Otto of Freising , The Deeds of Frederick Barbarossa, trans. , Annot. With Introd. By Charles Christopher Mierow, New York , 1966.

- Reynald of Chatillon , Prince of Antioch , Letter To Louis VII, King of France, Dated in 1155 / 1156 , in: Letters From The East, trans. By Barbar,M., and Bate, K . New York , 2010.

- Smbat Sparapet , Chronical, trans. By Robert Bedrosian , Sources of the Armenian Tradition Series , New Jersey, 2005 ,

المصادر المعربة

- دانيال الروسى : رحلة حج الراهب دانيال الروسى : ترجمة وتعليق سهيل زكار ، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ج 31 ، دمشق ، 1998.

- وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، أربعة أجزاء ، الجزء الثالث ، سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994.

المراجع الأجنبية

- Koncelik, L.J., Baldwin III King of Jerusalem , New York , 1974.

- Paul Magdalino, The Empire of Manuel I Comnenos 1143 – 1180., Cambridge, 2002.

-William Stubbs, Germany in The Early Middle Ages 476 - 1250 , London, 1908.

- Woodrow, Z. A., Imperial Ideology in Midle Byzantine Court Culture , The Evedency of Constantine Porphyrogenitus s De Seremoniis, phD, Un. Durham, 2001. - William Stubbs, Germany in The Early Middle Ages 476 – 1250.

المراجع العربية والمعربة

- استارجيان ، ك. أ. : تاريخ الأمة الأرمينية ، الموصل : مطبعة الاتحاد الجديدة ، 1951.

- جوزيف نسيم يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية 284- 1453م ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2005.

- حسين مؤنس : نور الدين محمود سيرة مؤمن صادق ، جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، 1987.

- ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العرينى، أربعة أجزاء ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، 1993 .

- سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، الطبعة الرابعة ، 2 جزء ، الجزء الأول ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1986.

-عبد القادر أحمد يوسف : الإمبراطورية البيزنطية ، بيروت : دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، 1984.

- على محمد الصلابى : نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره ، القاهرة : دار الأندلس الجديدة ، 2008.

- علية عبد السميع الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2001.

- محمد سهيل طقوش : تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام 521- 630هـ / 1127 -1233م ، بيروت : دار النفائس ، 1998 .

- محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1993.

- محمد محمد مرسى الشيخ : عصر الحروب الصليبية فى الشرق ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1996.

- محمد محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها 1097م- 1144م ، الإسكندرية : دار الثغر ، 1974.

- محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1966.

- محمد مؤنس عوض : الإمبراطورية البيزنطية دراسة فى تاريخ الأسر الحاكمة 330- 1453م ، القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، 2007 .

- محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول 1143- 1180 م ، الإسكندرية ، دار المعارف ، 1983 .

- مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، الطبعة الثانية ، دمشق : دار نوبل .

- نجلاء حسين محمد توفيق : كنيسة آيا صوفيا ومراسم صلاة الإمبراطور البيزنطي من خلال المصادر العربية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، المجلد 17 ، العدد 52، اكتوبر 2014.